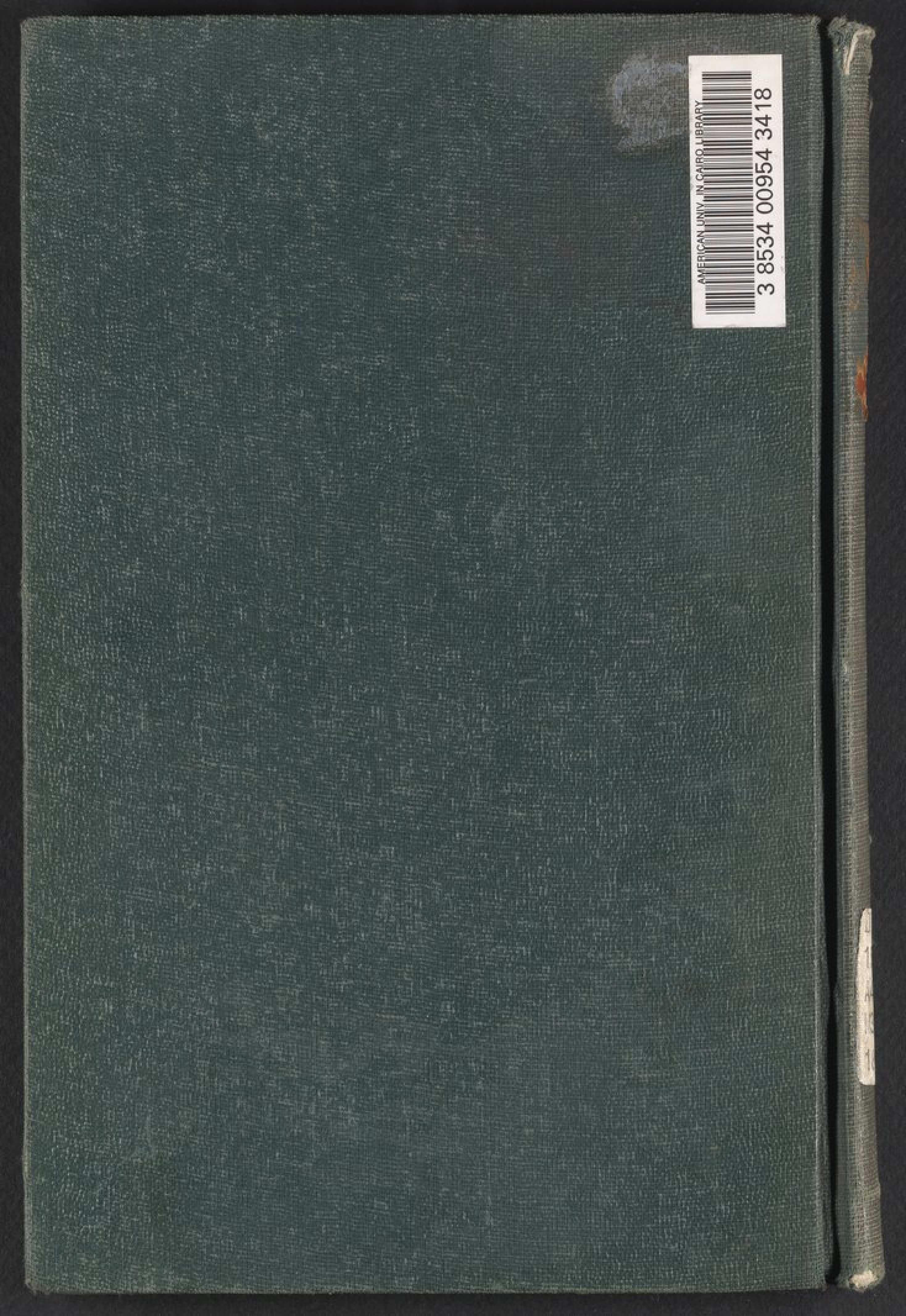
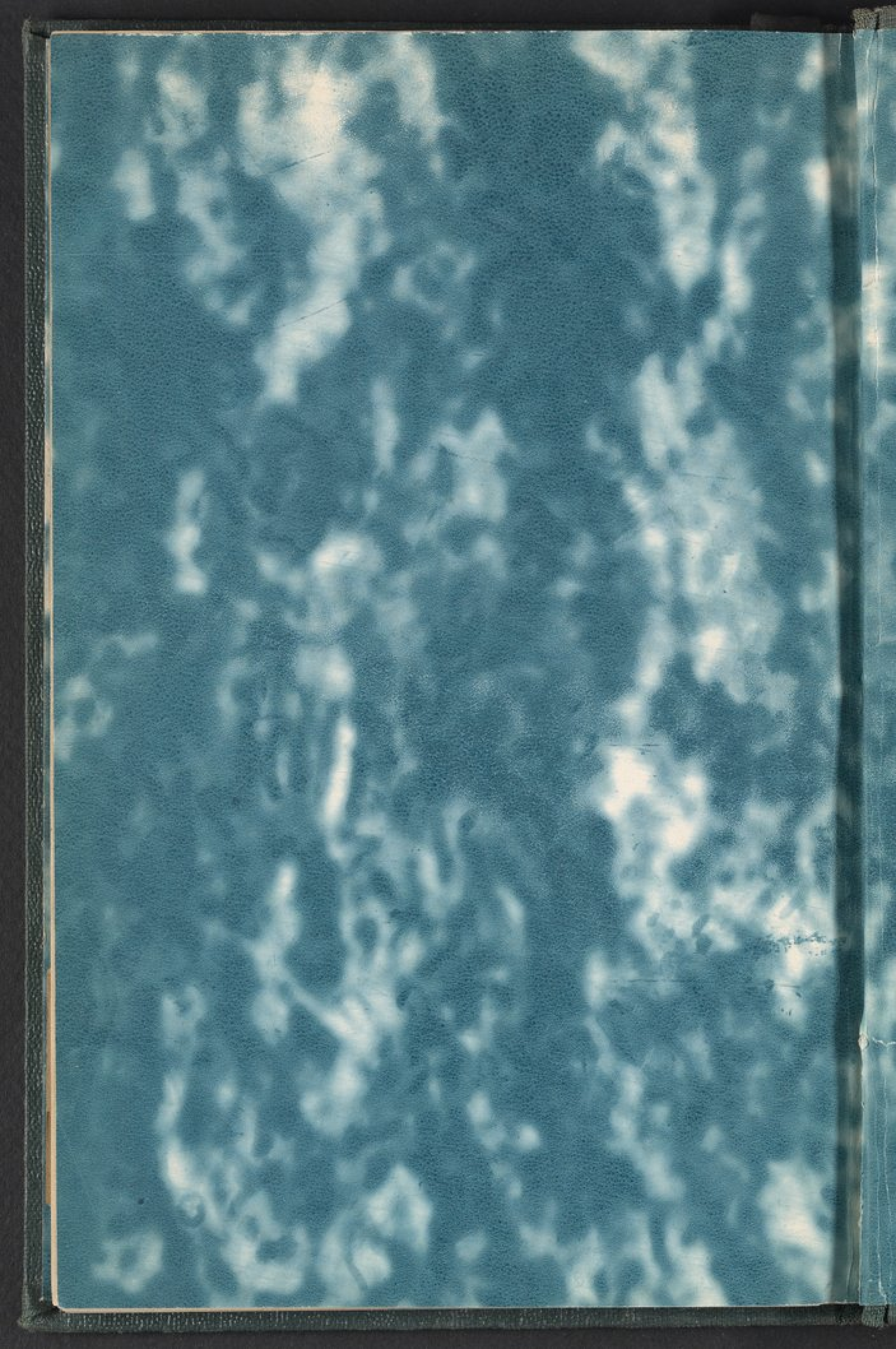


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00954 3418





المنحة الدهريه

في

تخطيط مدينة الاسكندريه

تأليف

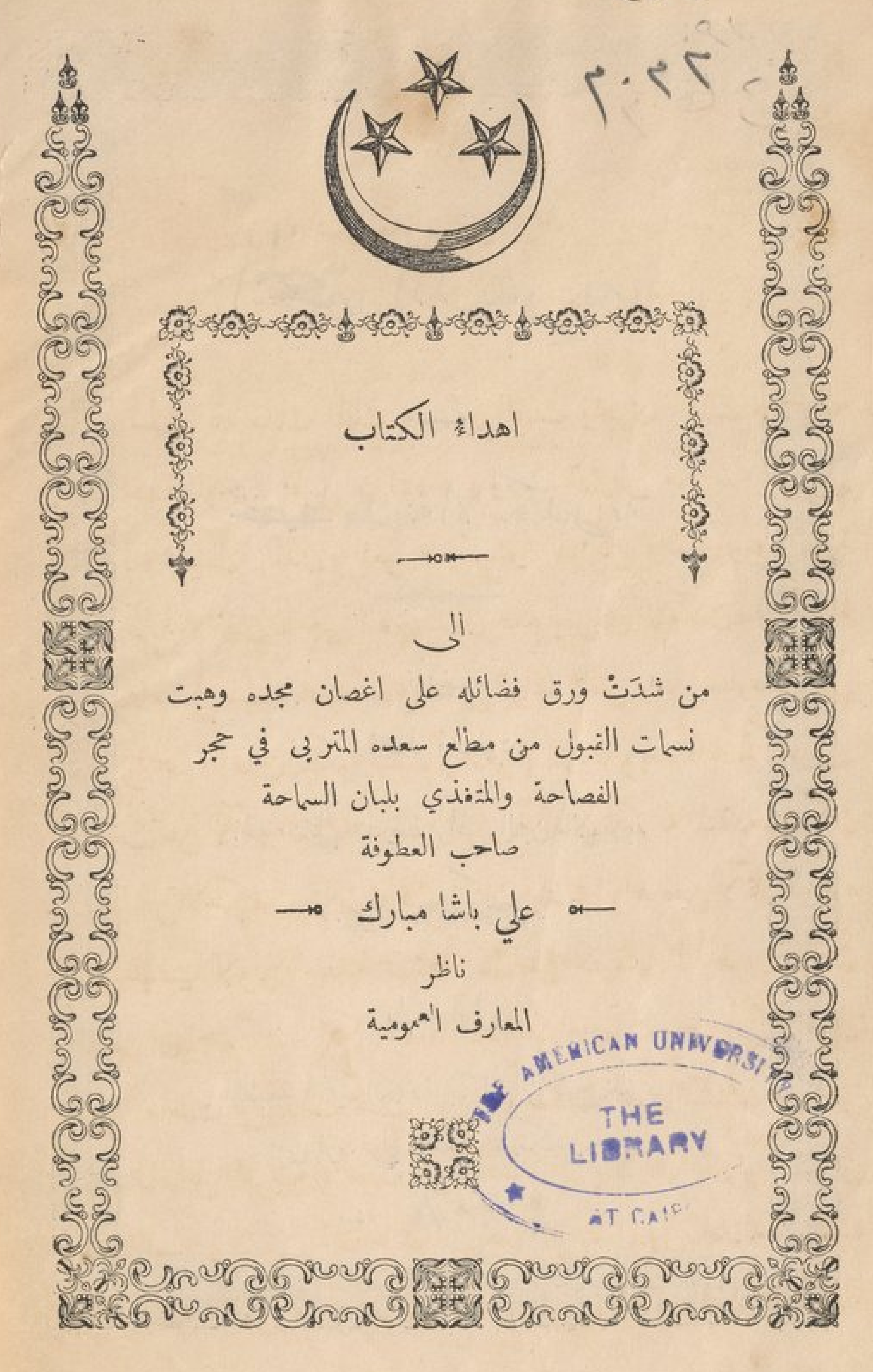
محمد مسعود

احد معلمي مدرسة راس التين الاميريه

طبعه اولى

بالمطبعة الحلميه الكائنة بوكالة الراكشي بالقرب
من قره قول المنشية بالاسكندرية

سنة ١٣٠٨



اهداء الكتاب

الى

من شدت ورق فضائله على اغصان مجده وهبت
نسمات القبول من مطالع سعده المتربى في حجر
الفصاحة والمتغذي بلبان السماحة
صاحب العطوفة

علي باشا مبارك

ناظر
المعارف العمومية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك * مسير الفلك ومجرى الفلك * سبحانه انشأ هذا الوجود طبق مراده * واورث الارض من شاء من عباده * فخططوا المدن والثغور * واسسوا الهياكل والقصور * واتقنوا ذلك غاية الاتقان * حتى نادى لسان حاله ليس فى الامكان * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اسس قواعد الحق واعلى مناره * وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيله واقتفوا آثاره * وبعد فانه لما كان البحث عن الآثار القديمه ثمرة فن التاريخ الذي اهتم به المتقدمون وكان يهمنا نحن الاسكندريين ان نعرف ما كان ببلدتنا الزاهره من الآثار الباهره التي شيدتها الاولون ولقدم عهدها بحث عن حقيقتها المتأخرون الزمت نفسي ان اجمع كتاباً اذكر فيه ما اثبته مشاهير العلماء من الاقوال التي اماطت عن ذلك حجب الريبه وبددت سحب الشك عن افق تلك المسائل الغريبه وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وتوكلت على رب العباد وكشفت القناع عن محيا تاريخ الدول الثلاثه اليونانيه والرومانيه والعربيه وترجمت فيها عما يتعلق بذلك من العبارات الرائقة

والجمل الفائقه والفت هذا الكتاب المشتمل على ما يتشوق للوقوف
عليه كل من تزينت سماء عقله بنجوم الادب واعترف بما لمطالعة التاريخ
من المزايا وبلوغ الارب

وسميته بالمنحة الدهريه في تخطيط مدينة الاسكندريه

وكان ذلك في عهد من بزغت شموس مراحمه على الديار
المصريه * وفاضت اثار مكارمه على من فيها من السكان والرعيه *
فاصبحت مصر بهجته كالروض الوريق * عزيزنا وولي نعمتنا توفيق *
متع الله بوجوده كل الانام * واتحف بطالع سعده الايام * وحفظ انجاله
ورجاله * بجاه خاتم الرساله

امين

لمحة عامة

ان تأسيس مدينة الاسكندرية متأخر جداً عن تاريخ تأسيس مدن مصر الاصلية الموجودة على شاطئ النيل وفي أثناء القرون العديدة التي ارتفعت فيها علوم مصر وصنائعها الى اعلا ذرى التحسين والاتقان كانت بقية سكان الدنيا المعلومة سابحة في بحار الجهل بالكلية هائمة في اودية التوحش والهمجية ومع ذلك كان اهل اسيا يغيرون على وادي النيل للاستيلاء عليه طمعاً في التمتع بخيراته ومحصولاته والاتيوبيون الحبشان يجتازون الشلالات رجاء ان تثبت اقدامهم في اراضي ايزيس واوزيريس « معبودي مصر » وقد اتسع نطاق التمدن في هذه الاعصر وانبعثت انوار العلوم في مطارح اشعتها واخذت هذه البلدان السعيدة في تشييد المباني العظيمة والآثار الفخيمة التي ما زالت الى الآن على حالتها الرفيعة لاتبالي بكر الاعوام ومر الدهور والايام ومن هذه المباني مدن منفيس وهليو بوليس وصاو منديس

التي شيدت قبل الاسكندرية بعهد بعيد وهذه الاخيرة هي المتميزة
عن تلك المدن بحفظ ما مر فيها من الحوادث ويخصها التاريخ باحسن
الذكر وابلغ الوصف ولو تأمل الانسان الى اخبار تأسيسها واهميتها
في مركز الدنيا القديمة واطلع على ذكر نضارتها وحضارتها وانها كانت
مقتبس انوار العقول كما دلت على ذلك الاخبار لانجذب عقله الى
استحسان هذه العاصمة واختيارها عن سواها وهي في الحالة الراهنة
بالنسبة لحالتها السابقة كميت كان في حياته حسن السيرة فحسن
اخباره يجعلنا نعتبره كانه حي موجود بيننا كيف لا واستماع اخبار ما
كانت عليه هذه المدينة من اتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق
ابهى وارق من مشاهدة مبانيها التي نراها الآن بالعيان هكذا كانت
الاسكندرية التي كانت متزينة الارجاء بالهياكل والاعمدة والمسلات
الى غير ذلك من المباني المتينة والاثار الفخيمة وبعد ان ارتفعت في
عهد الرومانيين والبطالسة الى أوج التمدن والاعتبار رأت سقوط
هياكلها وهبوط اصنامها لما نشأ في هذا الوقت بها من الاضطهادات
الدينية والفتن المليه التي استدامت الى القرن الرابع فنشر طيودوز
الديانة المسيحية في آفاق المشرق ووطدها فيها ولما استولى المسلمون بعد
ذلك بقرنين ونصف على مصر جعلوا الكنائس مساجد وهدموا غالب
الأبنية لمصلحة لهم ومن هذا العهد الى اوائل القرن التاسع عشر من

الميلاد كانت الاسكندرية كأنها لم تكن قبل بل طوى ذكرها كطي السجل للكتاب وذلك لما تراكم على اطلالها من الرمال البحرية التي ادرجتها في طي الخفا بعد ان نالت من التمدن حظاً وافراً لم تبلغ شأوه مدينة قط في ذلك العهد وصارت من جرىّ ذلك كمقبرة فسيحة الجوانب شاسعة الارجاء غيبت في بطونها تلك الفواضل النفيسة كما تغيب في المقابر الحقيقية اعضاء الانسان

وكان بقرب الاسكندرية قرية صغيرة علي ساحل البحر وعلى البرزخ الضيق القائم مقام الهبتستديون الذي كان موصلاً جزيرة فاروس بالارض القاره وكانت هذه القرية منفصله عن المدينة القديمة بعدة اسوار متينة وكانت تسمى بالاسكندرية ايضاً ولما دخلها الفرنسويون كانت ذات منظر تتخطاهُ العين حيث كانت ابنيتها على النمط القديم الذي لا رونق له ولا تنميق فيه مع ضيق طرقها الغير مباطه المشحونة بالقاذورات وقلة سكانها الذين كان يبلغ عددهم ثمانية الآف نفس فقط ومع ما دهمها من هذه الخطوب المهمة والاخطار المدلهمة كانت لم تزل بلدة لها في ميدان التجارة اوفر نصيب قهراً عن مجاراة مدينتي رشيد ودمياط الموجودتين على مصبي الفرعين الغربي والشرقي من النيل لها وذلك لما لوضع ميناها الطبيعي من المزايا العظيمه التي جعلتها معدودة من اعظم موانى البحر الابيض المتوسط

وبعد انجلاء الفرنسويين عن مصر بخمس سنين رجع عدد سكان الاسكندريه هابطاً الى ٥٠٠٠ نفس سنه ١٨٠٨ وذلك لعدم وجود الماء الصالح للشرب فيها وفي سنه ١٨١٨ في ولاية المغفور له الحاج محمد علي باشا بلغ عدد سكانها ١٢٠٠٠ نفس وفي سنة ١٨٢٥ اعني بعد انشاء ترعة المحمودية تضاعف هذا العدد بسبب جرى الماء العذب تحت ربوعها وبلغ عدد سكانها في سنة ١٨٤٩ نحو ١٠٠٠٠٠ نفس اما الآن فيزيد سكانها عن ٢٥٠٠٠٠ نفس منهم ٦٠٠٠٠ اوروبي وقد نظفت الآن حاراتها وبلطت شوارعها وحسنت بما يجعلها من عداد المدن الافرنجية ورتبت بحيث صار يصعب على الغريب الذي زارها لاول مرة ان يصدق انها مدينة شرقية وكل بنيان يتجدد فيها فجارٍ وضعه على النمط الافرنجي ولا تجد حارة تحظى بذلك النمط دون اخرى

اما فنادقها ومنازل اغنيائها فهي في غاية في الاتقان والتحسين كالقصور المشيدة في شارع باب شرقي والمنشية الكبرى ولم يبقَ الآن من مزايا الاسكندرية التي كانت مشتهرة بها في القدم سوى الشهرة التجارية وبعد ان كانت ميناها قبلاً تتقاطر اليها المراكب من كل ناحية تعطلت مدة طويلة ثم عادت الان الى ما كانت عليه من النجاح القديم ولا غرو ان عدها الانسان من احسن موانى افريقيا والمشرق فان من

يشاهد حركتها التجارية يعلم ما لاهالي هذه المدينة من مزيد الشغف وعظيم التولع بالتجارة فان في كل عشرة منهم تسعة يتعاطون الاعمال وبالجملة فان سكان الاسكندرية منهم المتجر بالاقطان والغلال وما ماثل ذلك ومنهم الباعة الاصاغر المنحصرة تجارتهم في بيع الاشياء المصنوعة في اوروبا خصوصاً في فرنسا وانكلترا والنمسا

وقد شغلهم ذلك عن استخراج الاثار القديمة المخفية في باطنها ومن المنافع العمومية ان اوجد في ميناها رصيف طويل يقيها من تلاطم الامواج فصارت بذلك آمنة حصينة وقد حاول البعض من حكام الترك في الازمان السالفة ان يصنع لها رصيفاً من الاعمدة والاحجار الضخمة التي وجدت في الاثار القديمة فما تسني له ذلك

اما اثارها فقد تنافست في شرائها الافرنج كالمسلات التي ما زالت تزدان بها الساحات العمومية بمدينتي لوندره ونيويورك اما المعارف والفنون التي كانت تفتخر بها على جميع مدن الدنيا القديمة فلم يبقَ لها اثر البتة في عصرنا هذا

ومن الاسف انهُ في الزمن الذي حصلت فيه الاسكندرية على زيادة التقدم في عهد جنتمكان محمد علي باشا ونجله دولتلو سعيد باشا لم تتوجه العناية الى اظهار تلك الاثار الدالة على تاريخها وحفظها بما تصل اليه يد الامكان نعم قد ارسلت جملة منها الى متحف بولاق بمصر

ولكن اغلبها يتعلق بالتاريخ الروماني فكان الاجدر ان تحتفظ بالاسكندرية لان وجودها بجانب غيرها من اثار الفراعنة وملوك مصر الاول مما يحط بقدرها وينزل من شأنها ومن العبث الان البحث على آثار الاسكندرية لداعي زيادة العمران واتساع البنيان

وبالاختصار نقول ان الاسكندرية قد استرجعت شهرتها القديمة من حيث التجارة فقط فان قيل لماذا لم تسترجع ايضاً شهرتها العلمية نقول انه وان كان فيها من فحول الرجال واكابر العلماء من لو سمح الدهر برجوع الاسكندرية الى حالتها الاصلية لامكنهم ان يقوموا مقام اقليدس ودمتريوس وفالير وزينودوت وكاليماك واراتوستين وسيرين وفيلون وابيان واوريجين وغيرهم ولكن من يجمع لنا من هم كأولئك القوم ذوي العقول المستنيرة ليزيلوا برقع ظلمات الجهل بطلعة شمس حقائق المعارف فتظهر صورة العلم من اجتهادهم في احسن تقويم بعد اندراجها في طي العدم الرميم وتصير مدينتنا قاموس المعارف الفلسفيه وبحر مسجور العلوم اللدنيه

عصر اليونانيين

في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد اى سنة ٤٢٢ من تاسيس رومه والسنة الاولى من الاولمبياد الثاني عشر بعد المائة تبواء عرش مصر اسكندر الاكبر الذى سرح الجيوش الكثيره الي بلاد العجم واسس مدينة سماها باسمه وتوضيح ذلك انه لما ظفر بدار يوس الثالث (دارى) فى واقعة اسوس واوقع به زحف الى فينقيا واستولى على صور وغزه ثم احتل بلاد مصر فنظم امورها الداخلية والخارجية ورتب القواعد واقام الناموس وصرف الجهد الى ابقاء العادات والاخلاق على ما هي عليه فنال بذلك محبة الشعب المصري وثقته فيه ثم توجه الى واحة آمون ليستشير المتها فلما عرفته الكهنة وقع الاقرار بينهم على انهُ ابن المعبود امون را الذى يوجد هيكله بمدينة طيبه ولما عاد من تلك الجهات رأى قرية مشيدة على شواطي البحر الابيض المتوسط تسمى راقوطيس تبال جزيرة فاروس على برزخ ضيق من الارض تحده مياه البحر من الشمال وبحيرة مريوطيس من الجنوب فبعدان تاملها التامل الطويل وامعن فيها كل الامعان راق فى عينيه موقعها وحسن لديه وضعها وكان جميع سكانها من الصيادين والرعاة ولهم هيكل يعبدون فيه ايزيس وسيرابيس وقد كان الاعجام وقبلهم الفراعنه حصنوا هذه القرية ليكتفوا غائلة اللصوص الذين هتكوا حرمتها وكدروا صفو

واحة اهلها باغاراتهم المتوالية وجناياتهم المتواترة

وقال استرابون «انه لما سر ملوك مصر مما صار فى حوزتهم وفى قبضة يدهم من البلاد حسوا باحتياجهم الى المخالطة مع غيرهم كما هو شأن المعاملة فوضعوا فى هذا المكان حرساً يمنع دنو من ليس بينهم وبينه معامله ويصد هجمات الاعداء خصوصاً اليونان الذين لضيق اراضيهم عليهم وتعذر طرق المعاش عندهم تعاقدوا على سلب مالا يجدونه مباشرة لديهم وكانوا يفعلون ذلك كلما لاحت لهم الفرصة وسنحت لهم النهزه فصار القتل لهم ديدناً والنهب سجية ومغنما»

ولما ادرك الاسكندر ما اختص به وضع راقوطيس من المنافع والمزايا استنفد وسعه وبذل مجهوده فى تأسيس مدينة عظيمة تكون عاصمة فتوحاته وفوض الى دينوقراطس مهندسه الخصوصي تنفيذ مأربه واعتمده لانجاز قصده فابتدأ الاعمال بكل همة ونشاط وقال ديودور دوكنتكورس ان موضع اسوار هذه المدينة خطت بالجير والدقيق فكانت عبارة عن الفضاء الكائن بين البحر وبحيرة مربوط وكان طول كل من ضلعيها العظيمين اللذين هما عبارة عن ساحلي البحر والبحيره ثلاثين استاده (غلوه) اعنى ٣٧٥٠ خطوة باعتبار ان الاستاده ١٢٥ خطوه وطول كل من الضلعين الاخرين اي عرض البرزخ التي اسست المدينة عليه ثمانية استادات اي ١٠٠٠ خطوه وقد بين الاسكندر بنفسه مواقع المحلات العمومية والهياكل الواجب بناؤها لمعبودات اليونانيين والمصريين وكان اتباعه هذا القصد وسلوكه هذا المنهاج دليلاً على اعتدال مشربه وصواب تدبيره وسداد اموره وترك الاسكندر بها فرقة من الحرس المقدونى واذن لكثير من اليونانيين والاسيويين ان

يتوطنوا بها

وكان غرض الاسكندر من تأسيس هذه المدينة تغيير احوال العالم مبالغة فى الحضارة والتمدن وربط الامم التى كانت خاضعة لشوكته بروابط تجارية وثيقة هذا ما دعاه الى انتخاب هذه البقعة من سواحل بر مصر منفذاً لافكاره السامية واقتراحاته العالية

وما لبث ان تم هذا المشروع حتى اقبل اليونان على هذه المدينة جماعات وشتى وتزاحموا على مواردها فصارت بلدة يونانية صرفا لا منازع لهم فيها ولا مشارك وصارت بعد تأسيسها بزمن يسير ابهج مدن البلاد المصرية لما اشتملت عليه من تمام التمدن واختصت به من الاثار التى تدهش برونقها الابصار وتحير بدقتها الافكار وورد اليها الجم الغفير من ارباب العقول المتنوره والمدارك السامية كالفلاسفة والعلماء وقد حكم البطالسة على بلاد مصر مدة ثلاثة قرون لم تزل فيها مدينة الاسكندرية مركز حكومتهم ومقر اهل الحل والعقد منهم لاتزداد على طول العهد الا جدة

استطراد لا بأس به

اسكندر الثالث المقدوني

هو المشهور باسم اسكندر الاكبر ولد فى خريف سنة ٣٥٦ قبل الميلاد ومات بمدينة بابل في شهر يونيه سنة ٣٢٣ وكان من اتم الملوك حزماً وعزماً وفراسة وفهماً ومن فحول الرجال الذين ادهشوا العالم باعمالهم العظيمة وهو ابن فيلبش ملك مقدونيا احد دهاة السياسة الذي بثاقب رأيه وظاهر حزمه وشديد نكايته رتب الجيوش وجمع شتات الوحدة اليونانية ولم متفرق شعثها واخضع لاحكامه متوحشي شمال بحرايجه وضم قوى اليونان فى قبضة واحدة ليصادم بها مملكة الاعجام وقد اقتدى الاسكندر بابيه فى اخلاقه الحميدة وارائه السديده فرتب العساكر ودبر احوالها وادرك المشروعات المفيده ونفذها بهمم تقصر عنها قرائح مشاهير الفحول وكان الاسكندر منذ نعومة اظفاره مخائل الذكاء عليه لائحة وامارات الظفر وشواهد الشرف فى عينيه بينة واضحه وهى صفات تحلى بها والداه من قبله وقد حدث ذات يوم انه سأل سفير العجم عن احوال مملكة سيده وعن عادات اهل بلاده واخلاقهم ونظاماتهم فادهشه بما كان يودعه فى هذه الاسئلة من العذوبة الممزوجة بالبلاغة والاختصار

وكان مشغوفاً بمطالعة مؤلفات هوميرس الشاعر اليونانى المشهور ومولعا بالاقتداء بالبطل المشهور اخلاوس والتأسى به فى اعماله وكان يفتخر بانه غصن من دوحته وسهم من كنانته وكان مؤدبه فى الصغر بطروقلس ثم هفستون وصار ارسطاطاليس استاذاً له من سنة ٣٤٥ فاحسن تربيته ولقنه الخلال الحميده كاحتقار الزهو والكبرياء وبث فيه حب البحث فى حقائق الامور وسبر غورها ثم التفت الى العلوم فاخذ منها بقسط وضرب فيها بسهم وتادب وبرع واعتنى بالفلسفة ولما كافح التراسيين اظفره الله بهم واظهره عليهم وكان بنفسه قائداً لفرقة الفرسان (٣٣٨) وفى السنة التاليه قهر الامير بلورياس ملك اليريا واورد جيشه موارد لاصدر لها وتصادف ان حصل فى تلك الاثناء امر كاد ان يعرض مستقبل الاسكندر الى اكبر الاخطار وذلك ان اباه عدل عن اولمبياس زوجته وطلقها ليتزوج بكليوباتره بنت اخت اتال المقدونى المشهور برسوخ نسبه وكرم اصله فلما راى الاسكندر ذلك من ابيه انحاز الى والدته وتنازع لاجلها معه على خوان المدعوين للعرس فاراد ابوه ان يفتك به فتمكن الاسكندر من الفرار والاختفاء مع امه ببلاد ابيزيا ثم صالحه مع ابيه كل من ديمارات وكورنت وما زالت الفتن راسية القواعد ثابتة الوطائد مشيدة الاركان الى ان قتل الملك وعفت اثار حياته وقام باعباء المملكة وتدبيرها من بعده ابنه اسكندر وكان عمره عندما تربع فى دست المملكه المقدونية عشرين سنة وكان اول حكمه محفوفاً بالاخطارلان كيلو باتره زوجة ابيه كانت وضعت ولداً واتال كان على رأس جيش جرار قصد بتحشيده محاربة الاعجام

ولما انتشر خبر موت الملك فيلبش اشتدت عرى المرج وانحلت عقال الفتن فاستجلب ديموستين قلوب اهالى اتينه وهيلاده وتساليا واجرى المخابرات مع اتال والعجم وطردت اهالى امبراسيا العساكر المحافظين وقاموا على قدم وساق وحاصرت اهالى طيبه عساكر قدما واخذ المتوحشون من التراسيين والبيوثيين والجيطيين والاليريين شمالاً وغرباً فى اضرام نيران الفتن ونفخ رماد المحن

وكان رفقاء الملك من الشبان ينصحونه ان يوقع الفشل فى صفوف اعدائه فاصاخ اليهم ووعى حديثهم وابتدأ يعمل بنصائحهم فاهمل جهة الشمال التي كانت قوى الاعداء فيها مؤلفة من جيوش ليس لها نصيب من النظام والترتيب حتى تخشى اضرارهم وبث الرصد والعيون فى معسكر اتال مصرحاً لهم بقتله اذا تسنت لهم الفرصة ثم استلم بنفسه قيادة الجيوش ووضع الحرس الكافى على مضيق تامبه وجمع روساء الاشراف من التساليين والزمهم الدخول فى طاعته والاذعان اليه واحذى حذوهم جبليي الجنوب (انيانيين ومليانيين ودولوبيين) ففتحوا له دربند ترموبيل ولم يصادف معارضة من جهة الامفكتيونيين وكان بقدما وطيبه محافظون من المقدونيين فلم يتمكنوا من الجنوح الى الثورة بل انصاعوا الى شوكته خاضعين وعقد الاسكندر عقب ذلك مجلساً عاماً بقورنثه ولقب نفسه فيه بالاستراتيج العمومى للهيلنيين (اي القائد العمومى لجيوشهم) فوردت عليه الوفود من الفلاسفة ورجال السياسة وارباب الفنون والصنائع لتهنئته خلا ديوجينس الكلبى فانه بقى في برميله منتظراً زيارة الاسكندر له ولما قفل الاسكندر راجعاً الى مقدونيا انتهى اليه خبر موت اتال وان امه اولمبياس قد سعت

فى قتل ضرتها كيلوباتره وابنها الذي رزقت به من فيلبش فلما اطمأن الاسكندر بذلك وسكن قلقه قصد الاقوام المتوحشين الساكنين فى الجهات الشمالية وقطع وادي الايبر (مارتزه) وقهر التراسيين وهاجم التريباليين وحاصرهم وسد مساربهم واخذ عليهم مهاربهم ثم اجتاز نهر الدانوب على قنطرة وهزم الجيطيين وقطع نظامهم وهدم مدينتهم وبعد ان قرب القربان الى الالهة زوش وهيراكليس ودانوب منح المتوحشين ما اتوا يلتمسونه منه من الصلح والهدنة لانه ما كان اراد بتهرهم سوى القاء الرعب في قلوبهم وما كان بنيته قط الاستيلاء عليهم ثم شخص من تلك الجهات الى اقليم اليريا بعد ان مر على بلاد الاغريانيين محالفيه (صوفيا فى ايامنا) وكان وصوله الى الاليريين في يوم استيلاء هولاء على مدينة پيليون مفتاح مقدونيا من الجهة الغربية وكانت المخاطر محدقة به فى هذه الحروب (وذلك انه اشيع كذباً انهُ قد مات) فنشر اهالى هيلاده لواء العصيان وخلعوا ربقة الطاعة من عنوقهم وصار كل من الاتينيين والاتيوليين والطيبيين متهيئين لحرب والنزال وكان الاسكندر شديداً على اهل الثوره لا تاخذه فى اهلاكهم لومة لائم فقصد مدينة طيبه ووصل اليها في اربعة عشر يوماً واستولى على حصونها الشامخة الذرى ثم دمرها وجعل عاليها سافلها وباع من اهلها ثلاثين الف نفس فلما نمى ذلك الخبر الى علم الاتينيين لزموا جانب السكون والطاعه وخافوا ان يلم بهم ما الم باخوانهم الطيبيين

وبهذه المثابة توصل الاسكندر الى اخماد نيران الفتن فثبتت قواعد دولته وتأيدت عراها فى مدة سنة واحدة اما هو فصار الملك الوحيد على مملكة فيلبش بحذافيرها وما يتعلق بها من البلدان الاخرى والمستعمرات

ولما فاز فى مشروعه هذا اخذ يتاهب للغارة على بلاد العجم ومن يتأمل
فى هذا الامر يندهش من الفرق الكائن بين المملكتين فان بلاد
مقدونيا كانت عبارة عن جزء من ثلاثين جزءًا من مملكة العجم على انه ما
اعترض فى سبيل نجاح هذا المشروع عائق الا واجتهد الاسكندر فى كبحه
وازالته من ذلك انه اقترض ثمانمائة تلان من الدراهم لتحشيد الجنود
وتعبية مهمات الحرب واوزارها فلم يبق معه من ذلك عند سفره سوى
ستون تلانا (اي ٣٠٠٠٠٠ فرنك) وكان له نفوذ وكلمة فى اقوام الهيموس
القاطنين بجوار الدانوب وفى الاليريين اما التساليون محالفوه فكانوا في
حوزته وقبضة يده وكذلك اهل الايبير اما بلاد هيلاده التى ساومت
بلاد كورنث الحلف والمعاضده فلم تمد له يد المعونة والموازرة الا بشيء
يسير وكانت دونانمته مركبة من ٣٥٠ فرقاطة و٣٠٠٠٠ محارب من المشاة
و٤٠٠٠ من الفرسان فترك الاسكندر الى انتيباتر خليفته على مقدونيا
ثلث هذا العدد فكمل بذلك النقص الذي كان بجيوش المحالفين ولم
يستصحب معه الا ٣٠٠٠٠ مقاتل من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان ولم تكن
اسباب نصرة هذا الجيش كثرة العدد فان قلته ظاهرة بل لحسن نظامه
وتمام ترتيبه وانا نأتى على شرح نظام هذا الجيش بالتفصيل لما فى ذلك
من الاهمية فنقول . ان نظام الجيوش عند قدماء اليونان كان يقضى
ان المشاة من العساكر يلزم ان يتسلحوا باسلحة كثيرة ولذا كان عليهم
المعول فى مواطن الحرب حتى ان افقراطس لما انشاء الجيوش الخفيفة
الاسلحة كان سببًا لوقوع الفشل فى عساكر اسبارطه وعلى العموم فكان
يوجد فى عساكر المقدونيين من هذا النوع ومن النوع الاول الذي كان

يسمى بالعساكر الثقيلي الاسلحة وكان عساكر الاسلحة الخفيفة يحملون صنفاً من المزاريق يتغير طولها من ١٤ الى ١٦ قدماً وسيفاً قصيراً ودرعاً وترساً مستديراً وكانوا صفوفاً سمك الصف منها ستة عشر رجلاً وكان للعساكر ذوى الاسلحة الثقيلة درع وترس خفيف وسيف مدبب طويل مثل ما لعساكر الاسلحة الخفيفة وكانوا احسن عساكر جميع الجيش واكثرهم نظاما واشدهم بأساً وكان الطابور الاول منهم يسمي اجيما (اى الحرس الملوكي) ويوجد في الخيالة مثل ذلك وكان رؤساء هذه الفرق من النبلاء والاشراف واسلحتهم قاصرة على الخودة والدرع والسيف والمزراق ثم يلي ذلك الفرق الهلينيه وقد اضاف الاسكندر على هذه العناصر الاساسيه عنصرا اخر لم يكن معروفاً قبله وهو انه اتى بسكان شمال وشرق مقدونيا من الجبليين والصيادين وقاطعي السبيل والتراسيين والاغريانيين وهم متسلحون بالسهام والقسى ووضعهم فى مقدمة صفوف جيشه وكان رؤساء الفرق المتحالفة من المقدونيين وكان عدد المكلفين بملاحظة لوازمات العساكر ومهماتهم عشر العساكر المشاة والجدول الاتي يتبين منه نوع عساكر كل فرقة من جيش اسكندر

الخياله — اولا الخياله الثقيلة

	عدد
مقدونيون	١٨٠٠
تساليون	١٢٠٠
يونان متحالفون	٤٠٠
	٣٤٠٠

ثانياً الخياله الخفيفه

مقدونيون و بيونيون يحاربون بالمزاريق	١٢٠٠
اودريز	٦٠٠
	١٨٠٠
	٥٢٠٠
يكون مجموع الخياله	

المشاة ـ اولا المشاة الثقيلة

مقدونيون	٩٠٠٠
يونان متحالفون	٤٠٠٠
عساكر مجمكه	٦٠٠٠
	١٩٠٠٠

ثانياً ـ المشاة الخفيفه

مقدونيون	٣٠٠٠
يونان متحالفون	١٠٠٠
عساكر مجمكه	١٠٠٠
اكونتيست	٤٠٠٠
	٩٠٠٠

ثالثاً جيوش خفيفه

مقدونيون بالقسى	٥٠٠
كريديون "	٥٠٠
اغريانيون	١٠٠٠
	٢٠٠٠

يكون مجموع المشاة ٣٠٠٠٠
« « الخياله ٥٢٠٠
―――――
٣٥٢٠٠

وكان تنظيم العساكر وقت الحرب كالاتى . العساكر الثقيلة فى القلب والمشاة الخفيفة والخياله الخفيفه من المقدونيين والبيونيين وحاملى القسى والاغريانيين فى الجناح الايمن والتراسيون والخيالة الهلينيون والتساليون والاودريز فى الجناح الايسر ثم يتبع جميع ذلك فرقة من حاملي القسى ومما قرن حروب اسكندر بالظفر وكللها بالنجاح ثلاثة امور الاول استعمال الجيوش الخفيفة الثانى عدد الخيالة بالنسبة لمجموع الجيش فكان عدد الخيالة في الجيوش اليونانية قليلاً جداً وقد كثر ابامينونداس عددها فجعلها بنسبة عشر الجيش العامل ولكن الاسكندر رفع هذه النسبة الى السدس لانه كان يعلم علم اليقين ان قوة الجيش وشوكته معقودة بناصية الفرسان الثالث انشاء صف ضباط منتخبين من الحرس الملوكى وكان لدى الاسكندر سوى ذلك كثير من المهندسين والآلات الحربية التى كانت تفوق آلات العجم اتقاناً وسرعة استعمال ولما نظم اسكندر الجيش على هذا المنوال واحسن ادارته وتدبيره سافر لمحاربة الاعجام فى ربيع سنة ٣٣٤ وكانت مملكة الاعجام فى تلك الايام غير وثيقة العرى متداعية الى السقوط من اوج الرفعة لما منيت به من استبداد حكامها واستقلال عامليها وجنوح الناس الى الثورة والفوضى وكان الملك وهودارى الثالث بن كودومان مستضعف الرأي قليل الخبرة واهى العزيمة تغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولما رأي اهل بلاد اسيا الصغرى ذلك الانحلال لم يعبأوا

بتابعيتهم له بل اخذوا في اسباب الاستقلال وكذلك مصر انتهزت فرصة هذا الاختلال لرفع ناف العبودية عن عاتقها هذا ولم تكن جيوش العجم مثل جيوش اسكندر في النظام والترتيب

ولما سافر اسكندر من بلاد مقدونيا استعمل عليها انتيباترو وترك معه ١٢٠٠٠ من المشاة و ١٦٠٠ من الفرسان ووصل الى بوغاز هلسبون فاجتازت جيوشه هذا البوغاز اما هو فذهب الى ترواده (ازمير القديمه) وقدم القربان الى بوزيدون وزوس واخلاوس وبريام واقام الاعياد هناك اياماً ثم رجع الى جيشه فاحتل به مدينة لمبساك وقصد الجهة الشمالية والشرقية فصادف جيوش الاعجام على سواحل نهر الغرانك وكانت هذه الجيوش تنتظره لمحاربته ولم يسمع الحكام اقوال ممنون الرودسي ونصائحه فانه كان قد اشار بترك الاسكندر وعساكره يتوغلون في البلاد حتى اذا اجهدهم العطش وانهكهم التعب هلكوا او سهل عليهم القيام بقمعهم اتم قيام ولما لم ترض الحكام والعمال بذلك قاموا وراء التل الكائن بقرب النهر المذكور وبلغت بهم الحماقة وسخافة العقل الى عدم قبول مساعدة اليونان المجمكين اما ممنون فانه صادم الجناح الايمن من جيش الاسكندر مصادمة تدل على مكانته من الشجاعة والبسالة ثم ان اسكندر اجتاز النهر وذهب الى مقام الحكام واوقع بهم الفتك وحصدهم بمنجل الموت ولما مات من الاعجام ورؤسائهم نحو الالف ورأت ذلك جيوشهم انحلت قواهم واضطرب حبلهم فركنوا الى الفرار ولم يبق في ميدان القتال سوى العساكر المجمكة الذين اخذوا يقتلون انفسهم بانفسهم فلما استقر الامر على ذلك وصفا الجو لاسكندر وجيوشه اخذوا يغنمون ما تركه الاعجام على ساحة القتال وكان

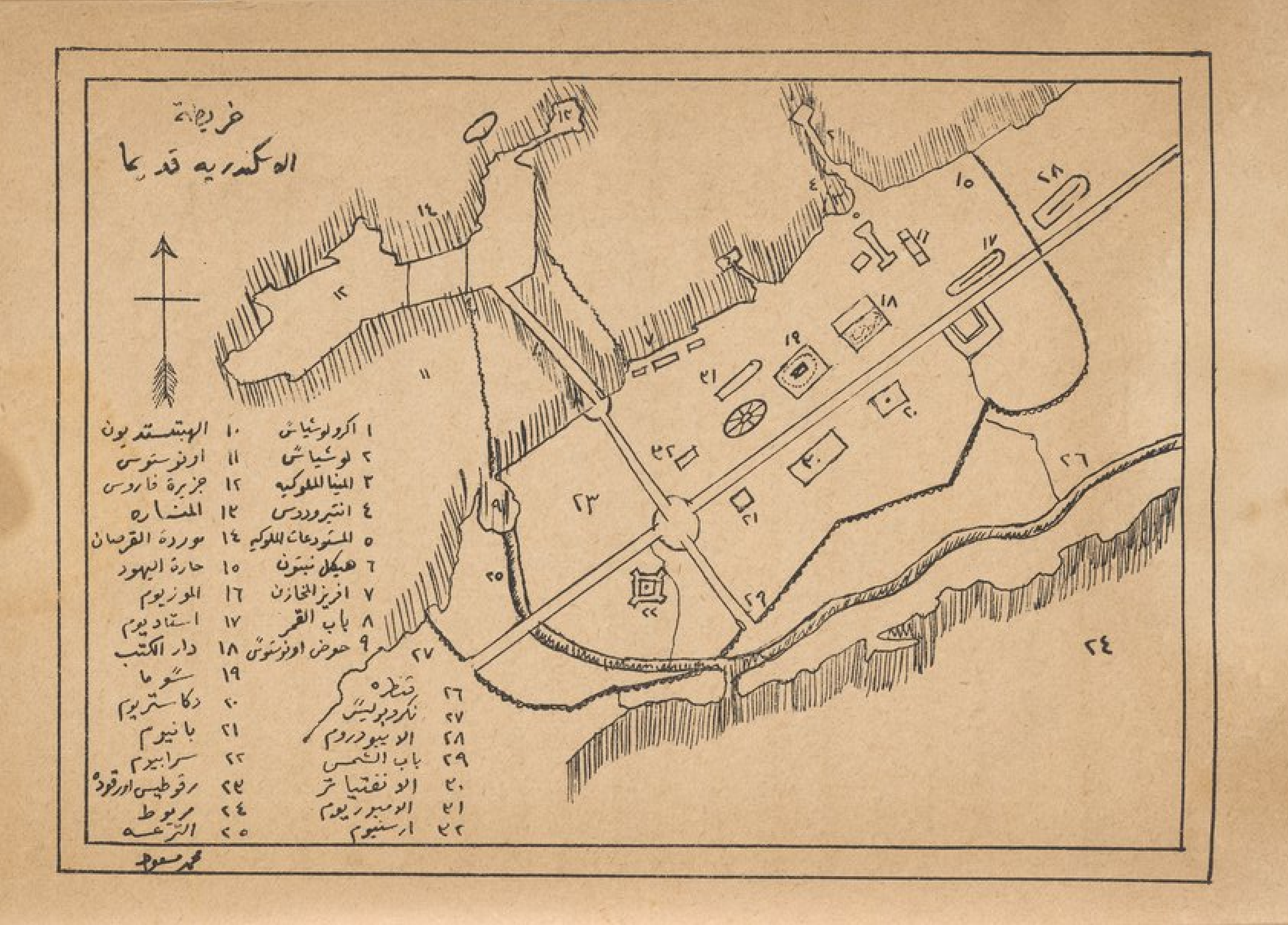
مما خسره الاسكندر شيئاً لا يذكر

ثم امر اسكندر بدفن موتاه وموتى اعدائه ولما رأى ان هذا الفوز قد مهد السبيل لمشروعه اتجه نحو الجنوب وعدل عن التجول فى الداخل والمدير الى الفرات لانه راى ان ذلك ادعى لتوطيد قاعدة اعماله وتاييد دعائم مشروعاته ثم عرض على المدن اليونانية التى على الساحل الدخول فى طاعته فلبوا دعوته واجابوا ملتمسه وبادروا الى ذلك سراعاً لما وقر فى نفوسهم من السخط والحنق على الاعجام ثم استولى على فريجيا وليديا ولم يصادف من اهلها ادنى معارضة او مقاومة وكانت دونمته البحرية المركبة من ١٦٠ سفينه تساعد العساكر البرية عند الحاجة فحاربت اسطول الاعجام واستولي عقب ذلك على اقليم كاريا فلما راى ممنون هذا الامر تحصن ببلدة هاليكرناس فصرف حينئذ مهندسو المقدونيين عنايتهم الى عمل فتحه في اسوار هذه المدينة وقد تيسر لهم ذلك فدخل الاسكندر يقوده النصر ويحدوه الظفر ثم مضى الشتاء فى كاريا وترك قيادة جيوشه الى برمنيون بليديا وكانت نتيجة هذه الوقائع الاخيره ان يونان اسيا عرضوا على ملك مقدونيا رغبتهم فى الانتماء اليه ومات ممنون وهو محصور في مدينة ميتلين فحزن ملك العجم عليه حزناً شديداً على انه كان السبب فى اموته وتوضيح ذلك ان كاريديم الاتينى اشار على ملك العجم باتباع نصائح ممنون فغضب دارى من ذلك كبرا وتشامخا وامر باعدامه خنقاً

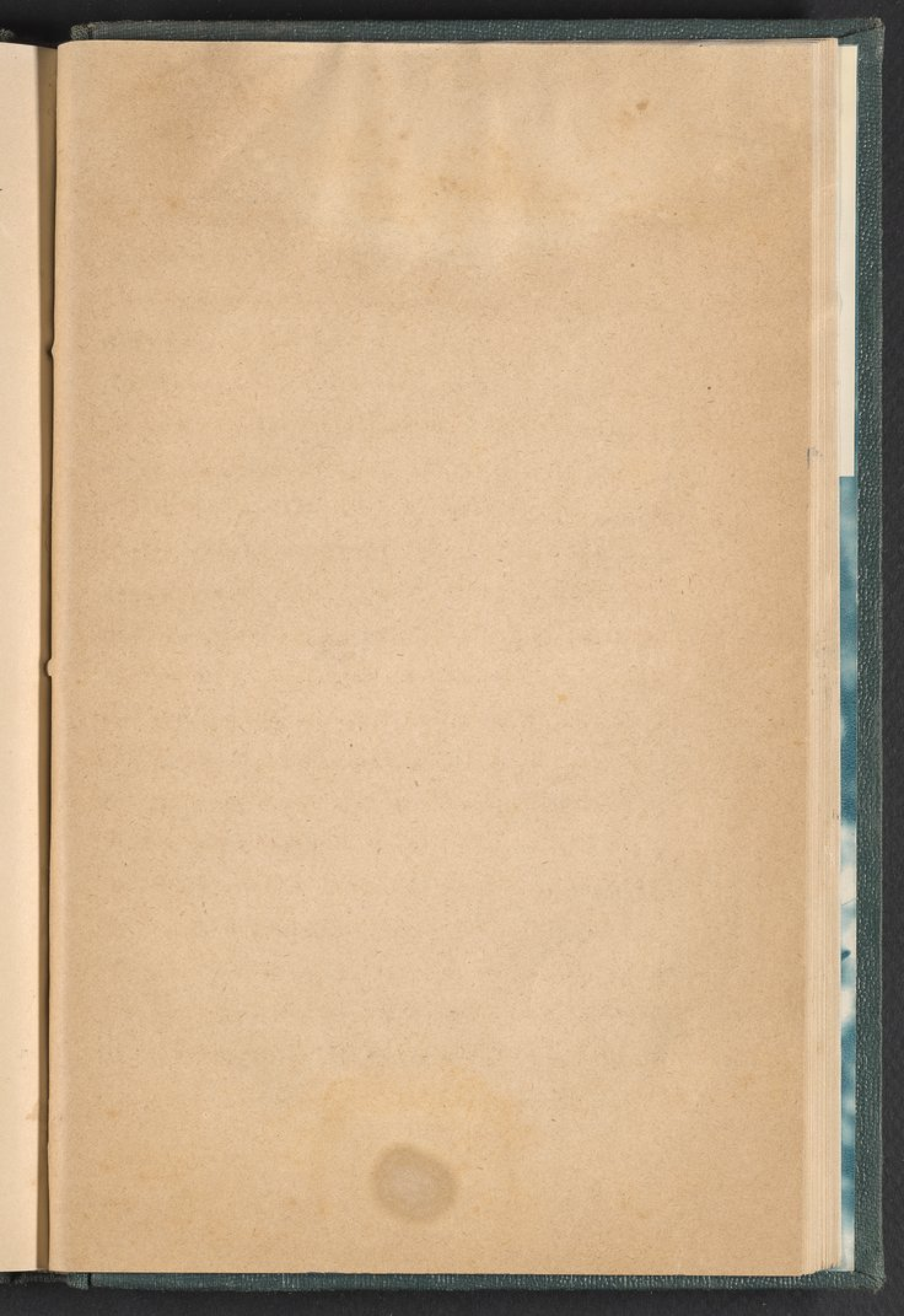
ولما مضى اسكندر الشتاء فى كاريا استولى على ليسيا وبمفيليا ثم نحا نحو الشمال فالتقى ببرمنيون فى مدينة غرديون من اقليم فريجيا وكانت تلك المدينة عاصمة هذا الاقليم ثم نزل باقليم سيلسيا ودخل بمدينة طرس

وكاد ان يموت فيها عقب استحمامه بمياه نهر السدنوس الشديدة البرودة غير انه شفى بما بذله حكيمه المسمى فيلبش من الاعتناء والهمة ثم قصد بلاد سوريا عند خليج اسوس وفى تلك الاصقاع حصلت الواقعة الثانية لان دارى لما سمع بقرب مجيئه اتى اليه بجيش جرار يبلغ عدده ٣٠٠٠٠ مقاتل من اليونان المجمكين وعدد لا يحصى من المشاة والفرسان ومن غباوته وسوء تدبيره وعدم تبصره دخل فى الجبل ظانا انه يحميه من عدوه اما الموقع الذي عسكر فيه اسكندر فكان داعية الى انتصاره اتم انتصار وذلك انه اتجه بعسكره نحو الشمال وذهب لمقابلة الاعجام ومقاتلتهم وكان الجناح الايسر من جيشهم من جهة النهر والجناح الايمن من جهة الجبل وكان الهجوم للجناح الايمن المشتمل على العساكر المجمكه والخيالة والانتشار على الاعداء للجناح الايسر والقلب الذي به دارى للدفاع اما الاسكندر فقد ترأس على الجناح الايمن من جيشه وسلم زمام الايسر للقائد برمنيون وفاجأه عدوه بالمهاجمة عليه فلم تكن الا ساعة زمن وقد ظفر المقدونيون بالاعجام وجرعوهم كاس الحمام وفرقوا شمل جمعهم ونثروا عقد نظمهم ورموهم بالثبور والويل ووطئوهم تحت سنابك الخيل فلما رأى ذلك دارى ركن الى الفرار وابى الانتظار وتبعه فى ذلك الامر المذموم والجبن المشؤوم عساكر القلب والجناح الايمن ولما علم فرسان الاعجام بهذا الخبر ولوا مدبرين وانقلبوا على اعقابهم خاسرين وقد وضع المقدونيون فيهم السيف عند تقهقرهم و بالغوا فى استئصال شأفتهم حتى بلغ عدد المقتولين منهم ١٠٠٠٠٠ نفس (نوفمبر ٣٣٣ ق) ولم يساعد دارى على النجاه سوى سرعة عدو جواده

وسبى الاسكندر امه سيزغمبيس واخته استاتيره اجمل بنات اسيا



خريطة
الاسكندريه قديما
١ اكرولوشياش
٢ لوشياش
٣ الميناالملوكيه
٤ انتيرودوس
٥ المستودعات الملوكيه
٦ هيكل نبتون
٧ افريز المخازن
٨ باب القمر
٩ حوض اونوستوس
١٠ الهبتستديون
١١ اونوستوس
١٢ جزيرة فاروس
١٣ المناره
١٤ موردة القرصان
١٥ حارة اليهود
١٦ الموزيوم
١٧ استاديوم
١٨ دار الكتب
١٩ سوما
٢٠ دكاستريوم
٢١ بانيوم
٢٢ سرابيوم
٢٣ رقوطيس اوراقوده
٢٤ مريوط
٢٥ الترعه
٢٦ قنطره
٢٧ نكروبوليس
٢٨ الابيودروم
٢٩ باب الشمس
٣٠ الونفتيا تر
٣١ الامبريوم
٣٢ ارسنيوم
محمد مسعود



واسر اولاده واظهر لهم من التعطف والرأفة ما دل على سمو فضله وطيب اعراقه وكرم محتده . وحاول دارى بعد ذلك ان ينال الصلح فلم ينجح اذ اجابه اسكندر بقوله ان مسئولية الحرب حقها ان تلقى على عاتق الاعجام بما انهم هم الذين ابتدأوا وانه لم يحاربهم الا تشفياً مما فعله ملك العجم اكزرسيس من قبل فى بلاد اليونان ومقدونيا

ثم اعلن اسكندر امارته على اسيا وانه قد تملك عليها وعرض على دارى ان يقر له بالطاعة او ينتظره للقتال فاجتهد دارى ان يميل الاسكندر الى تقاسم المملكة معه لحد نهر الفرات وان يزوجه بنته فابى الاسكندر ذلك وكان بدمشق سفراء من عند الاثينيين والاسبرطيين والطيبيين فوجه ساى التفاته الى قطع العلاقات التي بين ملك اليونان وملك العجم وحرمان هذا الاخير من العساكر المحكمة التى هي فى الواقع عبارة عن القوة الوحيدة التى يستطيع بها جيشه التيام بصد هجمات عساكر مقدونيا ولهذا الغرض نصبت حروب سنة ٣٣٢ وكانت قوى الاعجام البحرية اتية بتمامها من صور وعراد و بيلوس وسيدون (صيدا) ومن مدن جزيرة قبرص ولو كان اهل هذه المدن يداً واحدة فى المدافعة عن بلادهم لما امكن للاسكندر ان يسير خطوة واحدة فى سبيل الانتصار الا ان ما كان متحكما بينهم من الخلاف وعدم الائتلاف كان سبباً لوجود الشقاق حتى عولوا على الفراق وقاموا على قدم وساق وصار الوصول اليهم من اسهل الامور اما عراد و بيلوس فقد فتحت لجيوش الاسكندر ابوابها ولاقاهم اهلها بالترحاب وهشوا و بشوا فى وجوههم اما مدينة صور فاراد اهلها البقاء على ما كانوا عليه من شبه الاستقلال وعدم تمكين الاسكندر من التطرق الى

مدينتهم فلما بلغه ذلك بادر بوضع الحصار على هذه المدينة فانسل اهلها
الى صور الجديدة وهى عبارة عن جزيرة صغيرة في وسط البحر وظنوا انهم
فى ملجاء من هجمات العدو ولكن لم يصب ظنهم الغرض المطلوب اذ ان اسكندر
صنع جسرًا يتمكن به من الوصول اليهم فما كان منهم الا ان حرقوه فراى
ان السفن هى الموؤدية لتمام مرغوبه فقدم له ملوك قبرص واهالى فنيقيا
ما ينيف على ٢٥٠ سفينة رست فى مينتي المدينة ولما اشتبك القتال
واستعرت نيران الحرب بين الفريقين توصل الاسكندر الى عمل فتحة
فى سور المدينة لم يتمكن جيوشه من الدخول فيها في بادى الامر لكنه
استولى عليها بعد ثلاثة ايام وقتل من اهلها ٨٠٠٠ نفس وباع ٣٠٠٠٠ وكان
مكوث هذه الحرب ستة اشهر وكان لم يبق من سفن العجم الا عدد يسير
فاتى انتيباتر المتقدم الذكر ودمر هذه السفن واستولى على جزائر اسيا الصغرى
وكان الاسكندر لم يتخلص من هذه العوائق الا ليقع فى اصعب منها وذلك
ان باطيس المخصى دافع عن مدينة غزه دفاع من يعلم ماللوطن من الحقوق المقدسة
وابي التسليم والرضا بالاهانه وقد جرح اسكندر فى هذه الموقعة ولم
يتيسر له الانتصار ثلاث مرات متواليه وفى المرة الرابعة كان الظفر قرينه
والسعد رفيقه فدخل المدينة وطاف في شوارعها ووضع السيف في
اعدائه حتى اتي على اخرهم وعفى اثارهم وهنا امر يدل على ما داخل
الاسكندر من الغرور والمباهاة ولا يصح ان نسكت عنه وهو انه لما
قبض على عدوه وعثر عليه اراد ان يربطه فى حصانه ويدور به حول
المدينة تشبها بما فعله اخلاوس عند محاصرته مدينة طرواده

ولما كان شهر دسمبر سنة ٣٣٢ دخل الاسكندر بر مصر الذي كان

اذ ذاك عظيم الاهمية لكونه كان الواسطه الوحيدة بين الشرق الاقصى وبلاد البحر المتوسط والمركز الوحيد للعلوم والتمدن والثروة وقد تلقى اهلها الاسكندر بكل ترحاب لما املوه من النجاة من ظلم الاعجام واعتسافهم واحلوه في صدورهم ووضعوه فوق رؤوسهم فسر مما ابدوه نحوه من هذه العواطف وتوجة الي مدينة منفيس حيث قرب القرابين العديدة الى الالهة المصريين خصوصاً الى العجل ابيس واحترم الكهنة ورأف بمن مسه ظلم الاعجام فاكتسب بذلك محبتهم واستولى على قلوبهم ومن عجيب مايروى انه كان بواحة امون فى وسط صحرا ليبيا غربي مصر هاتف مشهور عند الهيلانيين وكان الاله الذي يعبد في الهيكل الموجود بتلك الجهات هو زوس وهوغير امون را الذي كان ايضاً بتلك النواحي وكان الطريق الذي سلكه الاسكندر في وسط الصحراء صعب العبور لشح الماء وكثرة هبوب الرمال التى ربما وارت تحتها ٥٠٠٠٠ نفس فى لحظة واحدة كما حصل ذلك لقمبيز ملك العجم من قبل ومما روى من الترهات والاباطيل فى هذا الشان ان المشترى دفعا لهذه المخاطر امر السماء ان تمطر مدرارا فهداءت الرياح وسكنت الرمال فى محلها وهب نسيم لطيف ولما ضل عساكر اسكندر وتفرقوا عن بعضهم ارسل اليهم غربانا صارت ترشدهم الى السبيل القويم وتجمع متفرق نشرهم وكانوا اذا وقفوا من تعب السير وقفت تلك الطيور لانتظارهم وكانت فى الليل تنعق لتهتدي العساكر بصوتها فلا تزوغ عن الطريق ولما عاد الاسكندر من زيارته للهاتف المتقدم الذكر لم يتكلم بما رآه بل ترك عساكره يقصون ذلك وقد البسوه من المبالغه والاطناب ثوباً جديداً وما كانوا يقصونه هو ان الاله قد شرف الاسكندر وجعله ابناً له وقد اوصل له ذلك الخبر على لسان الهاتف وكان

غرض الاسكندر من هذه الزيارة دينيا محضا اراد به الاطلاع على باطن الديانة المصريه ثم انه تفرغ الى حل المشكلات التى وقعت له اثناء طريقه ونظم البلاد المصريه ووزع القوة الحاكمة على جملة اشخاص خوفا من ان وضع ازمة الادارة فى يد واحدة ربما مال بها الي جانب المطامع ثم انه صمم على بناء مدينة يسميها باسمه ويأذن لليونان فى سكناها وعقب ذلك بايام قليله رأى فى منامه شيخاً جليلاً مهاباً دنا منه وقال له شعرًا موداه «ان جزيرة فاروس هى المنفردة بالشهرة من دون جميع جزائر البحار التى تحد بعض الجهات المصريه» فقام فى الحال وذهب ليرى موقع تلك الجزيره التي كانت عبارة عن لسان من الارض كثير الطول ضيق العرض ثم امر بتخطيط هذه المدينة بالدقيق فخطت فكانت اشبه شيء بالبرنس المقدونى وكان الاسكندر يتامله وقد شمله السرور وعمه الفرح وما كادت تمر ساعة من الزمن حتى راى الحاضرون طيورًا مقبلة كالغمام انقضت على الدقيق فاكلته فتعجب الاسكندر من هذا الامر واظهر مزيد اندهاشه منه فقال له من حوله ان المدينة التى ازمعت على بنائها ستكون كثيرة الخيرات غزيرة البركات سببا في معيشة عدد عظيم من الامم المختلفة فلما سمع ذلك الاسكندر امر المهندسين بالشروع فى العمل وفى ربيع سنة ٣٣١ شرع اسكندر فى المسير وبعد ان اقام الاعياد فى مدينة منفيس وفي صور اجتاز نهر الفرات بقرب مدينة طبزاك وكان جيشه اذ ذاك مولفاً من ٤٠٠٠٠ من المشاة و٧٠٠٠ من الفرسان ثم عرج نحو الجبل فعبر نهر الدجله مارا بالجهة الشماليه من جيش الاعجام الذي كان واقفاً لانتظارة بقرب خرابات نينوى

وكان هذا الجيش معسكرًا ببابل ثم انتقل الى سهل اربل وكان مركبًا من

٤٠٠٠ فارس و٢٠٠ عربه حربيه والوف من المشاة لا تقع تحت حصر وكان التصاف بين الجيشين مدينة غوغميله فرتب الاسكندر جيوشه بنظامه المالوف اى جعل برمنيون قائدًا للجناح الايسر واستلم هو زمام الجناح الايمن وجعل خلف الجناحين فرقًا اخرى لمساعدة وقت الحاجة . اما العربات المتقدمه فلم تنفع بشيء حيث ان الجيوش المقدونيه الخفيفه بادرت فى الحال الى ايقافها والاستيلاء عليها اما الجناح الايمن من الجيش المقدونى ففاز بالظفر على الجناح الايسر من العجم والجناح الايمن من هذا الاخير الذي كان مركبًا من اعجام وهنود و برطيين اوقع بالجناح الايسر من جيش الاسكندر الذى تحت قيادة برمنيون وكان الاسكندر بعد نصرته على الجناح الايسر من الاعجام كما تقدم عرج على القلب حيث يوجد الملك دارى فلم يرهذا الملك الجليل سوى الفرار ملجاء له ومخلصًا لحياته من مخالب الموت واقتفى اثره فى هذه الخطة الذميمة جميع من معه من عساكر القلب ثم مال الاسكندر الى الجناح الايمن من الاعداء و بعد حروب طويلة اشتد ضرامها واستعرت نارها اظفره الله بهم ونصره عليهم وكان عدد القتلى من فرسان المقدونيين مساويا بالتقريب لمثلهم من الاعجام ولكنه عند انهزام هولاء الاخرين ورجوعهم القهقرى وضع الاسكندر السيف فيهم فقتل منهم الوفًا عديدة (٣٣١) وكان دارى قد التجاء الي مدينة اكبتان فدخلها القائد المقدونى مازه الذي امتاز بفتوته ونخوته فى واقعة اربل بقرب بابل وتلته الجيوش المقدونيه وما فعله الاسكندر فى مصر مما ينطبق على اميال الاهالى فعله ايضًا فى البلاد الاسيوية التى دخلت تحت حكمه وفى قبضة يده فاهتم كذلك بحفظ الاعتقادات الاصليه و بقائها على حالها حرة ومما يثبت ذلك انه اهدي الهدايا الجمه الى هياكل بابل وقرب اشراف الاعجام واكابرهم من

حضرته فاكتسب بذلك محبتهم له وميلهم اليه ومنحهم الرتب الساميه وقلدهم
ادارات بلادهم علما منه بانه لا يصح ان البلاد تحكم بمن هم ليسوا من اهلها
وقد ابقى مازه نظام السلطة الادارية كما كان عليه من قبل في عهد حكام
الاعجام غير انه قسم تلك السلطة الى حربية ومالية ونزعهما من السلطة السياسية
وكان مع كل رئيس عجمى مراقب له من الهيلينين اليونان (٣٣١) ثم استمر
الاسكندر سائرا في طريقه فاستولى على مدينة سوز واخذ ماتحتويه هذه المدينة
من الكنوز التى احرزها المتقدمون من الملوك وارسل مالاً الى انتيباتر ليوافيه
بالامدادات العسكريه وليستعين بها على مكافحة اهل اسبرطه و يرسل المدد الي
اسيا فلما وصله المدد توغل فى بلاد العجم وكان اريوبرزان على راس جيش
جرار فلم يعباء به بل اخضع لسطوته رقاب الجبليين واوقع الفشل والقتل في
معسكر اريوبرزان المتقدم الذكر وغنم ما فى المدن الملوكيه المسماة برسجاد التى
بها قبر قيروش وبرسوبوليس وسراية العشمينيين ثم استراح فيها من تعب
الحروب مدة اربعه اشهر فى نهايتها حرق الاسكندر هذه السراية لغرض
سياسى اختلفت اراء المولفين فيه وقد حاول دارى ان يحشد جنداً فى
اكبتان غير ان سرعة دنو الاسكندر منه الجأه الى الفرار الى بقطريانه بعد ان
هجرته بطانته وحقدت عليه خاصته ثم وقع بايدي كل من نبرزان وبسوس احد
ولاة بقطريانه فاراد بسوس ان يسلمه الى الاسكندر فى مقابلة تملكه على الجزء
الشرقى من بلاد العجم فلما انتهى هذا الخبر الى مسامع الاسكندر جد فى المسير
لبلوغ هذين الخائنين فلحقهما بخمسماية من الفرسان وعثر فى اثناء
طريقه على جثة دارى ملقاة على الارض مقتولاً بيد بسوس وبموته دخلت
المدن الاربعة وهي بابل وسوز وبرسوبوليس واكبتان في ايدي المقدونيين وفى

هذه الاثناء حدث ببلاد اليونان امر ذو بال وهو ان اجيش ملك اسبارطه
الذي احتل جزيرة كريد سنة ٣٣٣ جاهر بالعصيان على مقدونيا فقام اليه
انتيباتر بجيش كثيف وقتله بقرب مدينة ميغالوبوليس (٣٣٠) ولما مات
دارى اراد الاسكندر ان ينتقم له من قاتليه فتهيأ جميع الحكام للدفاع وكانت
هذه الحروب عبارة عن مواقع صغيره وحصارات متعدده ومذابح متفرقه
اضطرته الى فتح كل اقليم على حدته وكان سلوكه هذا المسلك من دواعى
نجاحه لانه لو كان قسم جيوشه على تلك النقط لعمل الحرب دفعة واحدة لما
تسنى له الاستيلاء عليها بل ربما انكسر وعادت عساكره بالخيبة والوبل وصار
الاسكندر يترك فى كل اقليم يفتحه الحرس الكافى لمنع الاضطراب وبث الامن
والراحة ثم اتى بعساكر مجمكه من المقدونيين واليونانيين وضم اليهم عدداً
عظيماً من الاعجام واصدر امره من مدينة برشوبوليس ان تعمل القرعة
العسكرية على ٣٠٠٠٠ من شبان الاعجام ليتعلموا حمل السلاح حسب القواعد
المتبعه فى الجيوش المقدونيه واول حرب حاربت فيه هذه الجنود هو حرب
اقليم بقطريانه وكانت اغلب جيوشه على نهر الهندوس من المتوحشين والمتبربرين
وهذا مما يدلك على ان التغيير الذي احدثه الاسكندر ببلاد اسيا كان شديد
التاثير بمعنى ان الاسكندر كان لا يصح اعتباره انه ملك مقدونى الاصل تجشم
الاخطار لمحاربة الاعجام بل امير من امراء اسيا اخذ يخمد نيران الثورة التى
اسعرها الحكام وارباب الغايات من كبار القوم ووجوههم وكان فى معيته كثير
من الاعجام منحهم الرتب الجليلة والمقامات الساميه على انه ما توجهت افكاره الى
هذه الاعمال الا وتحركت عوامل الحقد وثار غبار الحسد فى قلوب المقدونيين
خصوصاً الاكابر منهم فانهم رأوا انفسهم انهم بعد ان كانوا مثل الملوك فى العز

والجاه والرفعة اصبحوا بدرجة من صار واعبيدا لهم بحكم الغلبة ومما زادهم حنقاً
وغيظاً ان حكام الاعجام كانوا اذا دعوا للمفاوضة مع الملك فى اى امر كان ركعوا
امامه فلما راى المقدونيون ذلك رأوا انفسهم اجل من ان يفعلوا ذلك فلذا تولدت
الخصومات و بانت العداوات بين الاعجام وقواد المقدونيين الذي صاروا يغضبون
على الاسكندر وصار الاسكندر يغضب عليهم خصوصاً اذا وشى المتزلفون
فى حقهم عنده ودبت الى مهادهم عقارب السعاية فيتصداهم ويعمل على
الاضرار بهم فلذا صارت القسوة قاعدة من قواعده واسلوبا من اساليبه واول
من اصابتهم صواعق غضبه اكابر المتوظفين واصحاب المقام من خاصته مثل
برمنيون وابنه فيلوتاس وذلك لانهما تظاهرا على الملك بالعداوه وعارضاه في
كل ما كان يبديه من المشروعات وكانوا لا يبالون به ولا يخشون من
سطوته اذا تكلموا بحرية الضمير وكشفوا اما غطته المحاباة بغطا الالباس والتملق كأن
ما أدوه من جليل الخدم واودعوه من خالص الغيره فى واجباتهم حملهم على ذلك
فكان سبباً لايقاعهم فى مهاوي الهلاك والموت حيث انه لما طالت الاحوال على
هذا المنوال اشتد تعب الملك وكثر قلقه وايقن ان فيلوتاس المتقدم الذكر اتهم
بخيانة وهى انه علم بوجود عصبة عاملة على قتل الملك فتستر عليها ولم يخبره بذلك
فجمع جيوشه للحكم عليه فدافع فيلوتاس عن نفسه غير ان اقواله ذهبت ادراج
الرياح وصدر الحكم عليه بالقتل ثم قتل برمنيون خوفاً من حدوث القلاقل
والاضطرابات فى الجيش اما كليتوس اخ مرضعة الاسكندر الذي انقذ حياة
هذا الاخير من مخالب المنية زل لسانه يوماً فاخذ يمدح فيلبش ويشكر اعماله
ويسخر بالملك ويبكت به ويافعاله ويتاسف على كونه يفضل الاعجام على ابناء جنسه
فلما زاد به الغضب والغيظ قتله بضربة رمح فلما فاق من سكرته وانتبه الى

حالته عض على انامله اسفا ووقع فى اليأس والقنوط (٣٢٨) وقتل ايضاً كلستين تلميذ ارسطاطابس وابن اخيه وكان قد شرع فى كتابة تاريخ لحياة الاسكندر والسبب الذي حمل الاسكندر على قتله هو انه ادخل العبارات الخرافيه فى تاريخ ولادته وابى ان يركع امامه واظهر العتو والتكبر وعزة النفس دعاه الى ذلك ما رآه من ترك الملك عادات اجداده وتمسكه بعرى العادات الفارسية فاندرج فى سلك حزب الغرض منه قتل الملك فصار الاكتشاف فى الحال علي ما اضمره فكبل فى الحديد وسيق الى مقتله فقتل

وقال بعض المؤرخين «ولم يكن الغرض من جيوش الاسكندر اجراء الفتوحات فقط بل ايضاً تنظيم البلاد التى استولت عليها هذه الجيوش ولذا كانت تحتوي علي رجال اخرلسن القوانين وعمل النظام فكان المعسكر لذلك عبارة عن موكز ادارة عظيمة يرى فيها كبار الموظفين من المراقبين و رؤساء الخزائن ومديري الصحه العموميه الى غير ذلك من التجار والعلماء ولما مات داريوس راى الاسكندر ان لا فائدة فى الحرب فارسل القائد بسوس الى بلاد بقطر وترك الجنود يتريضون فى مدينة هكتومبيل ثم اخضع لصولته حاكم برطيانه و برزان واريوبرزان وحاكم ارتباز الذى كان فيما سبق سفيرا فى بلاط الملك فيلبش وكذلك اليونان المجمكين الذين ضمهم فى الحال الى عسكره ثم احتل اقليم هرقانيا المشهور بحسن موقعه علي ساحل بحر قزوين وحدود بلاد ايران ثم اراد ان يقصد بلاد بقطريانه فمنعه عن ذلك جنوح اهل اريا الى الثورة والشقاق فعاد اليها وقوض خيام الفتنه ودرس معالمها ولم يبارحها الا بعد ان استتب الامن فيها لعلمه ان بقاءها فى حالة الاضطراب يؤدى الى استقلالها ثم اسس هناك مدينة سماها باسمه ولا تزال الى يومنا هذا مفتاح تلك

الجهات وشيد مدينة اخرى تعرف الان بغندهار ولم يمض النصف من شهر نوفمبر سنة ٣٣٠ حتى قبض الاسكندر على ازمة بلاد آريا وخراسان وافغانستان وانزل عسكره بسفح جبل الهندكوش واخترق فى فصل الشتاء هذه الجبال الشاهقه . وبينما بسوس المتقدم الذكر يسعى فى سبيل الاستقلال بهذه البلاد اذا فاجاه الاسكندر وحكم بصلبه ثم استولى على مدينة كير وبوليس والقلاع السبعه وحين تركها الاسكندر تأججت فيها نيران الفتن غير انه بحكمته وتدبيره وعزمه اخمد لهيبها . ولما هداء باله وصفاله الوقت تأهل بروكسان بنت احد اغنياء تلك البلاد ولم يكتف بما فتحه من الممالك الواسعة بل قادته المطامع الى فتح بلاد الهندوس فمكث سنتين يباشر افتتاحها . وجيش في سنة ٣٢٧ جيشاً مولفاً من ١٠٠٠٠٠ مقاتل من المصريين والفينيقيين والعجم والاربانيين والبقطريين ليقوموا مقام الجنود التى تركها بمصر وبابل وغيرها من المدن التى سماها باسمه . وفى ذلك العهد كانت بلاد بنجاب مقسمه بين جملة روساء اكبرهم شوكة يسمي بوروس فلما اضطر هذا الملك لمقابلة الاسكندر ارسل اليه يخبره بانه فى انتظاره علي حدود بلاده فقصده الاسكندر ووجده ضاربا على شاطئ نهر الهيداسب بجيوش لا تحصى و٣٠٠ فيل فعبر النهر ونصره الله عليه رغما عن كثرة جنوده وبعد ان تم لهُ تملك تلك البلاد حاول ان يبعث همم عساكره الى التوغل فى وادى نهر الكانج فامتنعوا فلما راى منهم ذلك وكادوا ان يجاهروا بالعصيان وجه الاسكندر التفاته الي تحسين احوال بنجاب وتنظيم امورها وحينما فرغ من ذلك نزل فى النهر ببعض من عساكره تقلهم الف سفينة اعدت لهذا الخصوص يريد بذلك قطع نهر الهندوس لغاية البحر واخضاع سكان شواطي هذا النهر اليه وفى اثناء مسير العساكر على ضفتى النهر تحت امرة

كل من كراتير وهفستيون فاومهم الاقوام المسمون بالماليين اشد مقاومة حتى
كاد ان يموت الاسكندر بما اصيب به من الجراحات البليغة ثم وصل بعد ذلك
الى ملتقى النهرين المسميين بالهيدسب والهندوس حيث بنى مدينة سماها باسمه
وقصد اقليم بتاله بقرب مصبات نهر الهندوس وهناك شيد ثلاث مدن
سماها باسمه ايضاً ثم دخل فى الاوقيانوس الذى كان يجهل اليونانيون ما
به من الاخطار الجسيمة المسببة عن المد والجزر ولما قاسى الاهوال فى ذلك
البحر عدل الى المسير براً لغاية بلاد جدروزيا فسار فى الفيافى والقفار مدة
ستين يوما مات فى اثنائها ثلاثة ارباع عسكره اما نيارك الذى كان اميراً
على الدونتمه فتكبد المتاعب والمشاق حتى لحق بالملك في كرمانيا واستمرت
الدونتمه سائرة الي ان بلغت مصب نهر الفرات فدخل الاسكندر بلدة سوز
وكان طول مغيبه عنها سبباً لوقوعها فى مخالب الفوضي لان الحكام حنقوا
على الاهالى وضربوا عليهم الضرائب الفادحه وصمموا على الاستقلال بمجرد
وصول الانباء اليهم حاملة موت الاسكندر ولما علم منهم ذلك امر بقتل
حكام كرمانيا والعجم وسوزيانا عن اخرهم وجميع من انحصرت فيهم هذه
الشبهة وفى اثناء ذلك هرب الخازندار هربال من بابل ال اتينه ومعه ٥٠٠٠
تلان من الذهب

ولما وصل الاسكندر الي سوز (فبراير سنة ٣٢٥) اقام فيها الاعياد
دلالة على انتهاء فتوحاته الجليله وفي هذا العيد تزوج ماية من روساء
المقدونيين بمئة من بنات اكابر اسيا وتزوج اسكندر باستاتيره بنت داري
وهفستيون نديمه باخت استاتيره وكراتير بنت اخت داري وبرديكاس بنت
اتروباتيس حاكم بلاد الميد وبطليموس اللاغيدى بسولوقوس بنت ارتباز وقد

حذا هذا الحذو ١٠٠٠٠ من المقدونيين فلذلك شومحوا من دفع الضرائب وجميع ما يماثل ذلك ولتعميم الافراح وازالة الاتراح قام الاسكندر بوفاء ديون عساكره التى كانت تبلغ ٢٠٠٠٠ تلان اى ١٠٠٠٠٠٠٠٠ من الفرنكات على ان هذه الاحسانات العميمه والمكارم التى لا تقع تحت حصر كانت عقيمه العاقبة لان الاسكندر لما اراد ان لا يفرق بين عساكراسيا وعساكره وان يجعل حرسه الخصوصى (اجيما) من عساكر اسيا بلغ الهرج بين المقدونيين مبلغه فنادوا بان اتباع هـذه الخطه موجب لفصم عرى الجيش واضمحلال اعضائه فدعاهم الاسكندر الى السكون وعدم التظاهر بالتعصب ثم اعقب ذلك بتنفيذ ما صمم عليه فجعل حرسه الخاص من الاعجام وصرف حرسه المقدونى فاستماحه العصاة العفو فلبى ملتمسهم وغض الطرف عما سلف منهم واولم لذلك وليمة شائقة وهب فيها لكل عسكري تلانا واحدا من النقود أى ٥٠٠٠ فرنك ثم صرفهم الى بلادهم واتخذ بدلهم عساكر من اهل البلاد التى فتحها وتزوج الاسكندر بجملة نساء اسيويات وولد له من واحدة منهن لعلها روكسان ولد سماه اسكندر ايغوس ولما عاد الى بابل وجد بها رسلاً اتوا لتهنئته من جميع جهات الدنيا ثم انه صمم على اجراء فتوحات جديده واعد لذلك المعدات الهائلة وكان فى نيته ان يدور حول جزيره العرب بحرا وان يفتح بلاد ايطاليا لينتقم من اهلها الذين قتلوا صهره اسكندر ملك بلاد الابيير وكان فى امكانه تنفيذ هذا المشروع لزيادة نظام عساكره المشاة عن نظام العساكر الرومانيه

وحدد ميعاد سفره فى الحادى والعشرين من شهر دزيوس (يونيه) غير ان الحمى اصابته فى السابع عشر من هذا الشهر وازداد به المرض مدة اسبوع

وصار فى حالة لا يرجى معها شفاوه وكانت عساكره اثناء مرضه تنصرف شيئاً فشيئاً الى ان فارقت روحه هذه الدنيا (شهر يونيه ٣٢٣)

وكان موت الاسكندر عنواناً على وقوع المشاحنات والمخاصمات التى افضت بعائلته الى الدمار والخراب و بمالكه الي التوزع والانقسام و بلغ عدد المدن التى اسسها فى مدة حياته ٧٠ مدينة صارت فيما بعد مستعمرات يونانيه امتدت بسببها شوكة اليونان فى جميع المشرق لغاية نهر الهندوس وكان الاسكندر سخياً كريماً فمن افعاله الحميدة التى تدل على ذلك تاسيسه جميع الهياكل التى هدمت فى بلاد هيلاده بمصاريفه الخاصة ومنحه ارسطاطاليس مبلغ ٨٠٠ تلان اى ٤٠٠٠٠٠ فرنك مكافاة له على اكتشافاته في علم التاريخ الطبيعى

وكانت نتيجة هذه الحروب انتشار التجارة وظهور فوائد الملاحه التى كان الاسكندر مشغوفاً بتعضيدها وتقدم العلوم عقب وثوق عرى الارتباط والعلاقات بين المصريين والكلدانيين والهند فاتسعت بذلك دائرة المعلومات وكثرة الاكتشافات والاختراعات

ومات الاسكندر وعمره ٣٣ سنة فقط وكانت عواطفه تميل الى الكرم والخصال الحميده الا انه كان يظهر الشدة والقساوة فى بعض اعماله وكان لا يتحمل ان الغير يتكلم امامه بالحرية وطلاقة اللسان كمافعل ذلك كلستين وكليتوس المتقدم ذكرهما . وقد ادى به حب الفخر والطمع فى الشهرة والتظاهر بالفتوة الى ادراك مشروعات هى الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة كتصميمه على فتح بلاد الهند وافريقيا وغرب اوروبا وهو وان لم ينل تحقيق هذه الامانى غير انه ذهب الى بلاد لو تمكن من الدخول فيها جيش اخر غير جيشه لما امكنه العود منها ولما بقى له اثر بذكر وهو الذي اسس المدن العظيمه والمبانى

الجسيمه التي تدل على شدة عارضته وقوة ادراكه كاسكندرية وهراة وقد استحق بما اتصف به من علو الهمة وصدق العزيمة وثبات الجاش ان يبقى اسمه مخلدا على صفحات عقول الرجال عنوانًا على الشجاعة والفتوة والكمال

قبل ان مضى يومان من تاريخ زواج فيلبش باولمبياس رأى هذا الملك انه ختم على بطن امرأته بختم مرسوم عليه صورة اسد فاحضر المعبرين وقص عليهم هذه الرؤيا فارتابوا من امر زوجته ونصحوه ان يراقب سلوكها و يباشر سيرها فلما سمع ذلك احدهم قام وقال ان هذه الرؤيا هي بخلاف ما سمعه الملك والحقيقه ان الملكة حامل ثم ايد مدعاه بقوله (حيث انه لا يصح الختم على المراكب الفارغة فلا بد ان اولمبياش تحمل في بطنها جنينا ستكون شجاعته مثل شجاعة الاسود)

وقد اظهر الاسكندر منذ صغره عواطف تدل على اعتدال شهواته وعدم ميله الى انتهاب المسرات وضياع الاوقات وتثبت شدة ولعه باكتساب الفخر والمجد

واتفق ان سأله بعض اصحابه ذات يوم هل اذا كان يريد الذهاب الى الالعاب الاولمبيه لينال الجوائز وكان الاسكندر لا يعلق باله بتلك الألعاب فقال له اني اذهب على شرط ان يكون اخصامي في الملعب الملوك الفخام والامراء العظام

وحدث ان اقبل من بلاد العجم جملة من الرسل في اثناء مغيب فيلبش فقابلهم الاسكندر بالترحاب ولم يتركهم برهة واحدة بل جلس معهم وخلب عقولهم بالفاظه الساحره وآدابه الباهره وطلب منهم ان يجيبوه عن اسئلة مهمة

جداً كالمسافة التى بين مقدونيا وبلاد العجم والطرق الموصلة الى الجهات السحيقة من اسيا وبحث عن منهم سلوك ملكهم مع رعيته واطلع بواسطتهم على قوة الاعجام العسكرية وشوكتهم الماليه وغير ذلك من الاسئلة التى بمجرد ما طرأت اذن هولاء الاعجام اعتقدوا ان مهارة فيلبش الذي كان يضرب بها الامثال عندهم لا تعدل ذكاء ابنه وتوقد ذهنه . وكان الاسكندر كلما علم ان اباه فتح مدينة عظيمة او انتصر نصرة كبيرة يظهر الغم والحزن ويبكى بكاء شديداً وقال لمن حوله من اصحابه « اصدقائى ان والدى لم يترك بلدة الا واستولى عليها كأنه عاهد نفسه على ان لا يترك شيئاً يكون لنا من ورائه الفخر وحسن الذكر فى المستقبل »

واتفق ان احدهم قدم الى الملك فيلبش جواداً كريماً طمعاً في ان يبيعه اليه بمبلغ ثلاثة عشر تلاناً فذهب الملك وبعض حاشيته الى السهل يجربوا هذا الجواد فلما اختبره وجده حروناً شقياً لا يقرب منه احد الا جمح وحرن وكان الاسكندر في جملة من حضر فقال لاحدهم « ان هذا الجواد لا مثيل لهُ وهم يريدون فقده من ايديهم لما اعتراهم من الخوف وعدم خبرتهم بالركوب » فسمع فيلبش هذا الكلام ولم يجاوبه عليه من باب الاغضاء فكرر الاسكندر ما قاله مرة اخرى واظهر اسفه من رجوع صاحب الجواد خائباً فقال له فيلبش « لماذا تقدح فى من هم اكبر منك سنا وعلما هل انت امهر منهم واقدر على قود هذا الجواد » فقال اسكندر لاشك انى اقوده احسن منهم فقال فيلبش « وان لم تفعل ما تقول فما يكون عقابك » فاجاب « دفع ثمن هذا الجواد » فلما سمع الحاضرون منه ذلك ضحكوا ضحكا عاليا ثم اتفق فيلبش مع ابنه بان من يأتي الامر على خلاف ظنه يكون ملزوماً بدفع ثمن الحصان فوراً

فاقترب اسكندر من الجواد وقبض على زمامه ووجه وجهه للشمس لانه علم ان جموح الجواد ناشى من خوفه من خياله الذي كان لا يفارقه اينما سار واخذ يواسيه بكلامه ويطبطب عليه بيده الى ان هداه وسكن وعند ذلك القى الاسكندر برنسه على الارض ثم استوى على ظهر الجواد بخفة عظيمة ومهارة تفوق الوصف ولما استقر وتمكن ضيق عليه الزمام اولا بدون ان يضربه وحينما رأى ان جموحه قد هبط وانه يطلب الجرى ضم فخذيه وتركه يجرى بسرعة عظيمة فاخذ العجب فيلبش وارباب معيته حتى انه لما راوه عائداً صفقوا له استحساناً ومدحوه على شجاعته وبسالته اما فيلبش فقام اليه وضمه اليه وقال له « ياولدى ان مملكة مقدونيا وما يتعلق بها من المستعمرات لا تكفيك فيجب عليك ان تبحث على ممالك اخرى تسع شجاعتك وتكون اهلا لفضلك وفتوتك »

ولما تزوج فيلبش بكيلوباتره بنت اخت اتال واقام لذلك العرس شرب اتال المذكور شرباً كثيراً حتى ضاع وعيه فانتصب قائماً وطلب الى المقدونيين ان يسألوا الله ان يمنحهم من فيلبش وكيلوباتره خلفا صالحا ووارثا شرعياً اهلا للجلوس على سدة البلاد المقدونيه بعد فيلبش فلما سمع ذلك الاسكندر اشتعلت نار غضبه وغلت مراجل غيظه وقال لاتال « ايها الخائن الخادع كيف تعتبرني اني نسل الزنا ووليد الحرام » ثم رماه بكاس كان بيده فاستل فيلبش سيفه وقام اليه ليقتله عقابا له على اجترامه هذا الذنب الفظيع غير انه وقع على الارض قبل ان يلحقه فعند ذلك قال الاسكندر بملء صوته « ايها المقدونيين انظروا الى ملككم كيف سقط على الارض طريحاً حينما اراد الذهاب من مائدة الى مائدة اخرى وحيث انه يتهياء للذهاب من اوروبا الي

اسيا بجيشه الجرار فكيف يصنع »

البطالسه

ولما مات الاسكندر اجتمع حول سريره قواد جيوشه وخاصة احبائه كبرديكاس وليونا وانتيباتر وليزيماك و بيطون و بوسست و بطليموس وتشيع كل منهم الى تولية ولد من اولاد الاسكندر فتشيع برديكاس الي الوليد الذي ستضعه روكسان بنت ملك بقطريانه ونيارك لابن برسين بنت دارى اما بطليموس فكان مشربه مخالفاً لذلك حيث قال « ألم نقهر الاعجام وندرجهم فى طى طاعتنا الا لنضعهم بايدينا على تخت البلاد المقدونيه » ثم استصوب بعد ذلك تسليم قيادة هذه الممالك الى يد مجلس مركب من اكابر قواد الاسكندر و روساء عساكره وبينما هو يقول ذلك اذ سمع صوتاً من خلال الجمع يقول « ان من العدل ان يكون ار يديه اخو الاسكندر وارثاله وان يلقب بفيليش وهو اللقب الذي يتغزل فيه المقدونيون » . وكان هذا القائل هو ملياجر فانضم فى الحال الى حزبه الذي كان عبارة عن جميع الجيوش المشاة وعمل على تأييد قولة وتنفيذ نيته فعارضه كل من بطليموس و برديكاس وليونا والعساكر الفرسان ولكن لم تجد معارضتهم نفعاً اذ ظهر اريديه متحليا بالملابس الملوكيه فبايعه اغلب الشعب وجميع العساكر المشاة ملكاعلى مقدونيا وما يتعلق بها من المستعمرات ولما تم له ذلك سلم رئاسة الاقاليم والعمالات الى ندمائه وضباط عساكره و بعد

ذلك تفرغ الى تحنيط جثة الاسكندر وكان قد مضى عليها سبعة ايام ولم يلحظها احد بعين الاعتناء والاعتبار

وفى هذا اليوم استلم بطليموس زمام مصر وليبيا وبلاد العرب المجاورة لمصر وكان يطلق على هذه الممالك اسم المملكة المصريه ولم تتناولها يد الانقسام كباقي الممالك الاخرى بل ضمت اليها بعض املاك خارجية كجزيرة قبرص وغيرها بطريق الحرب وفى مدة مغيب بطليموس ببابل كان كليومين الذي نصبه الاسكندر حاكما على مصر قبل سفره منها يحكم بالنيابه عنه لحين حضوره

بطليموس سوطر الاول بن لاغوس الملقب عند العرب بالمنطقي

حكم من سنة ٣٢٣ الي سنة ٢٨٥ ق – م

كان من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وذوي الاراء الصائبة والتدابير السديدة منهم انتهز الفرصة فى وقت السلم لتنظيم مدينة الاسكندرية وتحسينها فشيد الهياكل العديدة والمبانى المفيدة وامال اليه قلوب المصريين وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علما منه بانهم صرفوا عنايتهم الى نيل الفضائل واجتناب الرذائل وخصص لسكناهم جزءا من سرايته ومكانا لحفظ مجموعات التاليف النافعة التى تتضمن جميع العلوم والمعارف وسائر انواع الاداب التى وصلت اليها عقول الامم السالفة من الرومان واليونان والهنود والمصريين ويحكى عنه انه الف كتابا ضمنه تاريخ فتوحات الاسكندر وهو الذى حقق امانى هذا الفاتح فى الاسكندرية فوطد شوكة هذه المدينة العظيمة ومنحها لاهمية التى لا تزال متمتعة بها الى الان ثم جمل لباسها بتشييد المبانى العظيمة

التى لم يبق منها اثر كالمجتمع المشهور باسم مدرسة الاسكندرية وفتح الطرق التجارية الموصلة الى جهات الدنيا اما الفلكيون الذين نبغوا في ايامه فكانوا سببًا لتقدم علم الملاحه باكتشافاتهم المفيدة النافعة وارصادهم التى وصلت الينا كارصاد الفلكي الشهير تيموخارس في سنى ٢٩٥ و٢٩٤ و٢٨٣ قبل الميلاد وعهد بطليموس الى كل من استراتون الشاعر وفيليتاس تهذيب ابنه بطيموس فيلادلف فاثمرت تربيتهم فيه وجاءت منطبقة على مرام ابيه

ولما كانت السنة التاسعة والثلاثون من حكمه اهتم فى توطيد الملك لبنيه فتنازل عنه ليكون خلفه حاكماً وهو على قيد الحياة وكان لبطليموس زوجتان رزق منهما بثلاث اولاد بواحد من اوريديس وبالاخرين من بنيريس ولقب الاول منهما فيلادلف والثانى ارغوس الذي قتل متهما بتواطئه على الملك ابيه فطلب بطليموس من اصحابه ان ينتخبوا لهُ ولدا من هؤلاء الثلاثة ليكون خليفته على ملكه ولم يكن من مقتضى لتلك الاستشارة اذ ان العادة الجارية كانت تقضى ان يكون ابن اوريديس هو ولى العهد بما انه اكبر اخوته وهو امر واضح ظاهر والذي ذكر الملك بذلك هو دمتريوس دوفالير فلم يقبل منه الملك تلك النصيحه واراد ان يكون خليفته الاكبر من اولاد بنيريس ولما عقد عزمه على ذلك تنازل عن الملك له بدون حصول اضطراب لان الاهالى كانوا يساعدونه دائمًا على تنفيذ ما يقترحه من الافكار مهما خالفت العادات وضادت الشريعة وما ذلك الامن حبهم له وميلهم اليه لانه قام باعباء المملكة وتدبيرها قيام حزماء الملوك وفضلائهم ولما كان له من الامر والنهى وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء وغير ذلك من الاعمال الجليلة التى بها اعاد لمصر بهجتها الاصليه ورونقها القديم فصار حقيقًا بمحبة

رعيته له لهذا الحد

ولما تنازل عن الملك مال طبعهُ للوحده وعول على الانفراد والعزلة فصار محفوفاً بالراحة والنعيم وصار يسمع اسمه مقروناً باسم الاسكندر الاكبر في الاحتفال العموميه والخطب الدينيه

بطليموس الثانى فيلادلف اوفيلو ذفوس بن سوطر

من ٢٨٥ الى ٢٤٧

لما ادال الله تعالى له وصرف الملك اليه هبت فطنته الى تاييد العلاقات بينه و بين الممالك الاجنبية ليكتسب معاهدتها و يفوز بمودتها خصوصاً الدولة الرومانية فانه لما علم ما عليه عساكرها من التدرب على معاناة الطعن والضرب والثبات فى ميدان الحرب عجل بتأسيس الصلات بينها و بينه وكانت هذه اول معاهدة حصلت بين حكومتي رومه والاسكندرية ومما يخلد لهذا الملك حسن الذكر وطيب الاحدوثه تتميم المبانى الباذخه والهياكل الشامخة التى كان ابوه شرع فى تشييدها وتأسيس كل ما يكون الغرض منه المنفعه العموميه كورش الصنائع والمدارس العاليه وغيرذلك ولئن بقى ذكر هذه الاعمال مخلد امدى القرون العديده الا ان تاريخ اجرائها لا يزال مجهولاً لحد الان

ولم تشغل اعباء الحرب هذا الملك عن تعضيد الفنون والمعارف فانه اهتم بالمكتبة واعتنى بشؤونها فزاد فى كتبها عدداً وافر حتى اصبحت رياض العلوم مزهره واشجار الحكمة يانعة مثمرة و بذلك كانت ايامه غرة فى جبهة الدهر اودرة فى تاج الفخر وقد حضر الملك سوطر فى الاحتفال الذى صنع اكراماً واجلالاً لتتويج الملك فيلادلف وكان هذا الاحتفال في وسط شتاء السنة التى تلت

تنازل الملك سوطر اى فى اول سنة ٢٨٤ ق - م ولما اختار هـذا الملك ابنه فيلادلف خلفا له على عرش الملك ترك سيرونوس ابنه من اوريديس البلاط الملوكي قاصداً ليزيماك ملك تراسه لانه لما رأى ان حقوقه التى تخوله الصعود على سرير الملك بعد ابيه سوطر مهدورة لم يستطع البقاء مع هذا الملك وكانت ليزانده شقيقة سيرونوس متزوجه باغا طوقله بن ليزيماك من شقيقة فيلادلف فلما خشيت هذه الاخيره ان ابنها يستعبد اولادها بعد موت والدهم عملت على اعدامه فنجحت فى مشروعها ولم يبد زوجها ادنى اشارة تدل على انزعاجه من ارتكابها هذا الاثم الكبير ولما راع هذا الامر ليزانده اخت سيرونوس وارملة اغاطوقله احتمت هى واولادها واخوها بسيلوقوس ملك الشام واوزعت اليه ان ياخذ بثارها و يحارب الملك بطليموس فابي ان يشد ازرهم فى تنفيذ هذه الاقتراحات نظرا لما كان بينه و بين هذا الملك من العلاقات الودية والعهود السلميه غير انه عزم على محاربة ليزيماك وافناء عساكره فلما نمى هذا الخبر اليه جيش الجيوش وذهب اليه طمعاً فى الهجوم ومات فى اول موقعة ولم يتم لسيلوقوس الاستيلاء على مقدونيا لانه لما ظفر بعدوه وقصد تلك البلاد قتله سيرونوس وفرق خزائنه على العساكر واستولى على مقدونيا

وحينما علم بطليموس ان اخاه ترك بلاط الملك ليزيماك ارسل الى هذا الاخير يخطب منه ابنته ارسينوه ولما مات ابوه سوطر لم يبرح عن فكره ما قاله الفيلسوف دمتريوس د وفالير الى هذا الملك عند ما طلب منه ابدا رأيه فى تعيين خليفة له فنفى هذا الفيلسوف الحكيم الى بلاد لم يكن ليقوى على تحمل ما رآه فيها من العذاب وفى سنة ٢٨٢ اتت ارسينوه الى مصر فتزوج بها فيلادلف وكان قد تمم سوستراتُ بناءَ المناره التى استغرق بناؤها اثنتى عشرة

سنة ويحكي انه لما ابى ان يأذن لسوسترات بوضع اسمه على المناره تذمر سوسترات من ذلك ونقش اسمه عليه غير ملتفت الى اوامر الملك انما وضع عليه طبقة من اللبن مؤملا ان اسمه ينكشف للخلف بعد زوال هذه الطبقة وبعد مضى سنتين من هذا العهد ارسل سيرونوس ملك مقدونيا الى اخيه فيلادلف رسلاً يقولون له . ان سيرونوس احتراما لسيرة ابيه قد نسى الذنب الذي ارتكبه هذا الاب بحرمانه من وراثة الملك بعده ثم مات بعد ذلك بثلاثة اشهر فلم يصله جواب اخيه وربما كان تلقيب بطليموس بفيلادلف (اى محب اخوته) من باب التهكم والسخرية لانه امر بقتل اخيه ارغوس وميلياجر الذى كان فى جزيرة قبرص لما نسب اليهما من حض الاهالى على رفع لواء العصيان وكذلك اسا معاملة زوجته ارسينوه بنت ليزيماك اما لانها حاولت الايقاع به واما لما اكنته من الضغائن والحقد لارسينوه الاخرى ارملة ليزيماك واخت فيلادلف واما لان هذا الاخير اسرت قلبه محاسن اخته فهجر الاخرى هجرًا قاسياً ثم طلقها ونفاها بمدينة قوبطوس من صعيد مصر وكان قد رزق منها ببنت وولدين ثم انه تزوج بارسينوه اخته من ابيه وامه وهذا بضد ما اتت به النصوص الشرعية والقواعد الدينيه وقد امر بنقش اسمها وصورتها على النقود ومات فى اخر شتاء سنة ٢٤٧ بعد ان حكم ٣٨ سنة

وصف الاحتفال المتقدم الذكر

ولمناسبة تتويج هذا الملك حصل بالاسكندرية احتفال شائق لم ترهذه المدينة لحد الان حصول ما يماثله فيها وقد رأينا من المستحسن ان نورد وصفه مقتبساً من تاريخ الاسكندرية تاليف كليكسين الردوسى فنقول انه بعد ان

وصف الصيوان الملوكي الذي نصب لهذا الخصوص بانه كان مزينا بالذهب والفضة والاحجار الكريمة والسجاجيد العجمية النفيسه اخذ يصف سير هذا الاحتفال فقال

« وكان يرى في مقدمته رايات الطوائف الدينية المختلفة وغيرهم من اصحاب الوجاهة والاعيان اليونانيين يتلون بعضهم بعضاً كل فريق علي حسب مقامه وما امتاز به من الرتب وكان اغلب هؤلاء اليونان على عربات تجرها الجياد الصافنات وكان الكهنة والكاهنات يؤدون ما عليهم من الواجبات الدينيه كالصلوات والادعية ثم يلي ذلك جميعه عربة اخرى باربع عجلات عرضها ثمانية اذرع ويجرها ستون رجلاً وفوق هذه العربة تمثال ارتفاعه ثمانية اقدام عليه برنس اصفر منسوج بالذهب وكانت هذا التمثال يسكب اللبن في الكاسات ويفعم به الاواني العسجديه وفي يده اليسرى ترس منقوش الاطراف وعلى رأسه تاج من الذهب الخالص مصنوع بشكل العنب ومرصع بالاحجار الكريمه

ثم يتبع ذلك عربة اخرى باربع عجلات طولها ٢٠ ذراعا وعرضها ستة عشر يجرها ٣٠٥ رجل وهي تحمل معصرة عنب يباشر ادارتها ستون من القينات الحسان وجميعهن دائبات على عصر هذا الثمر مع الترنم بالحان واغاني تطرب السامعين وكان النبيذ ينسكب من جانبي العربه مدة مسير المحفل

وبعد هذا القسم كان يري الحاملون للاواني الذهبيه على اختلاف انواعها وتباين اشكالها والخزانه المحتويه على المشروبات والمرطبات وكان يتبع ذلك ١٦٠٠ طفل لابسين برانس بيضاء ومتوجين بالازهار ومنهم ٢٥٠ لحمل القماقم الذهبيه و٤٠٠ لحمل المباخر الفضية و٣٢٠ لحمل اشياء اخر ذهبية وفضية ثم يلي ذلك باقي الاطفال وبايديهم الات المدام التي كانت عبارة عن ٢٠

من الذهب و٥٠ من الفضة و٣٠٠ من باقى انواع المعادن ولا يجمل بنا ان ننسى العربة العظيمة ذات الاربعة عجلات التى كان طولها ٢٢ ذراعا وعرضها ١٤ ذراعا ويجرها ٥٠٠ رجل فانه كان على هذه العربة ما يماثل مغارة كبيرة مدهونة الخارج بلون احمر وكان يطير من هذه المغاره اثناء الطريق انواع الطيور كالحمام واليمام وهى مقيدة الارجل بخيوط طويله حتى يتسنى للمتفرجين الاستيلاء عليها وكان بهذه المغارة ينبوعان ينبط من احدهما اللبن ومن الاخر النبيذ وكانت جميع العذارى التى تحيط بهذه العربة متوجات الروءس بالاكاليل الذهبيه ثم يلى جميع ذلك عربة وعليها صورة اجهزة الاله باكوس (آله الخمر عندهم) عند عودته من بلاد الهند وكان هذا الاله متربعاً على فيل جسيم الجثه ولابساً ثوباً احمر قانى وتاجا من الذهب وماسكا بيده ترساً من ذهب وحذاء مذهباً ايضاً وكان على رقبة الفيل غلام متوج بورق الصنوبر من الذهب وبيده اليمني قرن ماعز يشير بها الي جهة من الجهات وكانت جميع الادوات التى على ظهر الفيل مصنوعة من الذهب وحول رقبته غصن شجرة من الذهب كذلك

ثم يتبع ذلك من الحاشيه ٥٠٠ جارية موءتزرات بالبرانس الحمراء ومنطقات بمناطق من الذهب واما الجوارى اللاتى كن اما مهن ربيلغ عددهن ١٢٠ جارية فكان على روءوسهن تيجان من الذهب على شكل ورق الصنوبر وكان وراءهن ١٢٠ غلاماً متسلحين باسلحة البعض منها من فضة والبعض الاخر من التوج

ثم يلى ذلك من الحمر عدد عظيم منقسم الى خمسة اقسام يركب عليها غلمان متوجون وكانت سروج هذه الحمر من الذهب والفضة ثم ياتى بعد ذلك ٢٤ عربة تجرها الفيلة الكبار و١٦٠ اخرى تجرها الجدى واخرى تجرها حيوانات

متنوعة غريبة الشكل والصوره وكان يوجد سوى ذلك عربتان يجر واحدة منهما نعامتان وعربات اخر يجرها حمر الوحش وكانت هذه العربات تحمل غلمانا ملابسهم كملابس ساقة العربات الملوكيه وعلى جانبيها غلمان اخر اصغر سناً من هوءلاء وهم متسلحون بالتروس والمزاريق وعليهم الملابس المنسوجة بالذهب والفضة

ثم ظهر للناظرين بعد ذلك جملة عربات يجر كل واحدة منها جملان واخر تجرها البغال وكان فوق هذه العربات انواع من خيام الامم الاجنبية المختلفة وكان يرى فوق هذه الخيام نساء هنديات كالسبايا وكان من الجمال المتقدمة الذكر ما يحمل ٣٠٠ قطعة من المواد اللازمة للبخور وما يحمل ٢٠٠ رطل من الزعفران وغيره من الاشيا العزيزة الوجود وبجانب هذه الجمال حبشان يحملون الهدايا الاتى ذكرها وهى ٦٠٠ سن من اسنان الفيل و٢٠٠٠ كتلة من الابنوس و٦٠ قطعة من الذهب والفضة ومن السبائك الذهبية ثم بان بعد ذلك اثنان من الصيادين وبايديهما سهام من الذهب وو راءهما ٢٤٠٠ كلب متضاربة الاشكال مختلفة الانواع منها ما هو من بلاد الهند ومنها ما هو من بلاد هرقانيا ومن عقب ذلك ١٥٠ رجل يحملون اشجاراً متنوعة وعلى اغصانها انواع الطيور التى تطرب السامعين بحسن نغمها ورقة تغريدها ثم اعقب ذلك اقوام يحملون على روءوسهم اقفصة من الذهب فيها انواع الببغا والطواويس والديوك البريه وهي تصيح باصواتها المختلفة وتجذب النظر لجمال منظرها

وبعد ان افاض الموءلف في الحديث على اشياء اخر اطنب فى شرح اوصاف انواع الحيوانات كل نوع على حدته فقال : وكان يوجد سوى جميع ما سلف ١٣٠ كبشا من الحبشه و٣٠٠ من بلاد العرب و٢٠ من جزيرة النجر بون (من

جزائر الارخبيل) و٣٦ كبشا ابيض من بلاد الهند وثمانية مثلهم من بلاد الحبشة ودب ابيض كبير وستة عشر نمرا واربعة عشر فهدا وظرافة وكركدن

ثم بدا اثر ذلك عربة اسفر من ورائها جملة نساء متحليات باحسن الملابس واحلى الحلل وكانت تسمى كل واحدة منهن باسم بلدة من بلاد اليونان الاصليه او البلاد اليونانيه الموجوده فى اسيا وكانت تحت حكم الاعجام وعلى رأس كل واحدة منهن تاج من الذهب

وما اتينا على شرحه الان من احوال هذا الاحتفال ليس الا قطرة واحدة من بحر الوصف الكلى الشامل له لان المولف كاليكسين الذي بنى وصفه هذا على دعائم المشاهدة واس العيان لم يشرح من هذا الاحتفال الا ما كان الذهب او الفضة داخلا فى تركيبه على انه كان يوجد اشيا اخر لا تقع تحت حصر تستجذب الفكر وتستلفت النظر كالخيول الكريمه والحيوانات المفترسه من اسود وغيرها

وكان يرى بعد ذلك ٦٠٠ رجل منهم ٣٠٠ من الموسيقيين وكانت القياثير والات الغنا التى بايديهم مصنوعة من الذهب والتيجان التى على رووسهم من هذا المعدن كذلك ثم مر بعدهم ٢٠٠٠ ثور من لون واحد وقدر واحد وقرونها وجباهها مصفحة بالذهب وكان بين قرنى كل واحد تاج وعقد من الذهب الخالص ايضاً ثم اعقب ذلك سبعة نخيل ارتفاع كل واحدة منها ٨ اذرع وهيكل صغير محيطه ٤٠ ذراعا والكل من الذهب وكان يوجد خلاف ذلك عدد عديد من التماثيل الذهبية التى كان يبلغ ارتفاع الواحد منها ١٢ ذراعا وحيوانات اخر متوحشة تفوقها كبرا وتربو عليها علوا كالنسور التى كان يبلغ ارتفاع الواحد منها ٢٠ ذراعا وكان يوجد سوى جميع ما تقدم ٣٢٠٠ تاج من

الذهب من ضمنها تاج محيطه ٨٠ ذراعا مرصع بالجواهر النفيسه والاحجار الكريمه وهو خاص بالاحتفالات الدينية والاعياد المذهبيه ثم اسفرت بعد ذلك بدور جملة جوار لابسات احسن الملابس والحلل وحاملات تيجانا من الذهب يبلغ ارتفاع احدها ذراعان ومحيطه ستة عشر ذراعا ولا يجمل بنا ان ننسى الدرع الذهبي الذى كان طوله ذراعان والتاج الذي كان على شكل ورق الصفصاف وكان مرصعا بالجواهر والاحجار النفيسه وان نهمل ذكر العشرين ترسا التى كانت مصنوعه من الفضة والستة واربعين سلاحا والاحذيه الذهبية التى كان طول الواحد منها ثلاثة اذرع والاثني عشر حوضا المصنوعين من الذهب كذلك والكاسات التى لا تقع تحت حصر والستة وثلاثين قدرة المملوءة بالنبيذ والخمسين سبتا المشتملة على العيش وغير ذلك من الموائد المختلفه والخزانات المحتويه على الاوانى الذهبيه والقرن الذي طوله ٣٠ ذراعا ومما لو تصدينا الى شرحه لخرجنا عن موضوع الكتاب

ثم يتبع جميع ذلك ٤٠٠ عربة تحمل الاوانى الفضية وعشرون تحمل الاواني الذهبية و٨٠٠ المواد العطريه وبالاختصار فكان جميع هذا الموكب محفوفا بكوكبة من الفرسان والمشاه المسلحين بالاسلحه الذهبيه وكان عدد المشاة ٥٧٦٠٠ والفرسان ٢٣٢٠٠

بطليموس الثالث افرجيطه الاول او اوراخيطس

✵ من ٢٤٧ الى ٢٢٢ ✵

هذا الملك هو ابن بطليموس الثانى فيلادلف وارشينوه بنت ليزيماك ولما تزوج فيلادلف بشقيقته ارسينوه اتخذت هذه الاخيره ابن ضرتها ابنا لها ولذلك لما تولى افرجيطه وقام بالامر بعد ابيه لم يقع شي من الاختلال الذي يحدث

غالباً فى مثل هذه الاحوال

وكان حكم هذا الملك على الديار المصريه بشير فلاحها وسفير نجاحها اذ اخذ يعبى الذخائر ويجيش الجيوش التى نشرت الوية سطوته ورفعت اعلام شوكته فى بلاد اسيا فاستولى بها تدريجا على الاقاليم الموجوده بالشاطى الايمن من نهر الفرات ثم جد يتوغل فى البلاد التى وراء هذا الاقليم ففتح بابل وشوزيانا والعجم واخذ يخرب الحصون ويدمر القلاع حتى اناخ على بقطريانه وقد سر عموم المصريين من هذه الفتوحات خصوصاً من فتح بلاد العجم لانه استرجع لهم ما سلبه الملك قمبيز من هياكل المدن الموجودة على شاطى النيل ايام كانت هذه البلاد تئن من شدة الضيق واللأوى فى عهد هذا الملك الجائر وفى ايامه اذعن له ملك الشام بالطاعه وادى له الاتاوه

وقد تقدمت العلوم فى ايامه تقدما حثيثاً حتى انه انهمك على اقتناء الكتب النفيسه وكان يشتريها بدون نظر الى غلاء ثمنها وارتفاع سعرها وممن اشتهروا بالمعارف والعلوم فى ايامه كاليماك وليكوفرون وابوللونيوس وكنون واريسطارق وارسطوفانس الذى خلف زينودوت فى وظيفة امين الكتبخانة الاسكندرية وكان ارستولس وكنون وتيموخاريس منكبين على تدريس العلوم الفلكيه ووضع اريسطارق القواعد الاولى من هذا الفن وقال بحركة الارض فلذا اتهم بالكفر وقلة الديانه اما ابوللونيوس فقد اخنى على ذكر من سلفه من الرياضيين بما اعجز به اهل عصره من الاكتشافات الرياضيه ومات افرجيطه بعد ان حكم ٢٥ سنة قضاها فى نشر العلوم وتعضيد المعارف

وقد وجد بمدينة ادوليس من بلاد الحبشه حائطاً مكتوبا عليه ما ياتى « ان الملك الاكبر بطليموس بن بطليموس من ارسينوه وحفيد الملك بطليموس

والملكة بنيريس الالهة السوطرين الذى هو من نسل هرقول الجبار بن المشترى (من جهه ابيه) ومن نسل ديونيزوس بن المشترى (من جهة امه) قد تربع فى دست الملك بعد ابيه وصارت بلاد مصر وليبيا وسوريا وفينيقيا وقبرص وليسيا وكاريا الخ فى قبضته وحوزته وقصد بلاد اسيا بجيش جرار من المشاة والفرسان برًا وبحرًا وبالفيلة المجلوبه له من بلاد الحبش بامره وبامر ابيه ودربها بمصر على الحرب والكفاح فكانت اقوى عضد له على الاستيلاء على الجهات المجاورة لنهر الفرات وبلاد سيلسيا وبامفليا ويونيا وهلسبون وتراسه وحيازة اموال هذه الممالك وافيال بلاد الهند

ثم اخضع لسطوته رقاب الملوك الحاكمين على هذه البلاد واجتاز الانهار فتغلب على الجزيره وبابل وسوزيانه والعجم وميديا ثم اخذ ما سلبه الاعجام ايام حكمهم بمصر من الالهة والاشياء المقدسة وارسل ذلك كله الى مصر مع الكنوز التى اخذها من تلك البلاد »

بطليموس الرابع فيلوباطور (محب ابيه)

من ٢٢٢ الى ٢٠٥

كانت بلاد الشام في ايامه تابعة لمصر فلما راى انطيوخوس ما عليه بطليموس من الانهماك على الشهوات والاشتغال باللذات اراد نزعها من يده وحينما سمع بذلك بطليموس ترك مدينة منفيس وقصد مدينة بيلوز (بقرب بورسعيد والعريش) بجيشه وامر بفتح الترع ليغرق خارج هذه المدينة ظناً منه ان ذلك من اعظم وسائل الدفاع فلما وصل هذا النباء الى انطيوخوس عدل عن مهاجمة بيلوز واكتفي بالاستيلاء على الجهات المجاورة لتلك المدينة واخضاع المدن السوريه بالقوة او بالحيلة ولم يتمكن بطليموس من اغاثة هذه

البلاد بسبب سوء تدبير وزيره سوزيب واشغال قلبه بمحبوبته اغا طوقله وبعد مضي سنة كان انطيوخوس فيها مشتغلاً بفتح بلاد العرب خرج بطليموس من الاسكندرية على رأس جيش جرار مركب من ٧٠٠٠٠ رجل من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان و٧٣ فيلا قاصداً بيلوز وهناك وزع الميرة على عساكره ثم حط بهم على بعد ٥٠ استاده من رافيا ولم يمضي قليل من الزمن الا واتى انطيوخوس بخيله ورجله وعسكر قبال بطليموس على بعد ٥ استادات منه ولما استعرت نيران القتال انهزم انطيوخوس وفر هارباً الي انطاكيا ومن هناك طلب الصلح من ملك مصر فاجاب بطليموس ملتمسه واناط بوزيره سوزيب من شروط هذا الصلح لمدة سنة واحدة ولما سر بطليموس من الاستيلاء على سوريا وفينقيا مضى بها ثلاثة اشهر لينظم ادارتها ويرتب احكامها ثم عاد الي الاسكندرية وكان كثير اللهو واللعب منقطعاً الى ذلك مشتغلا به عن تدبير مملكته فسلم زمام الحكم الى وزيره سوزيب واخذ يعمل لوجهته غير ملتفت لما اصاب الرعية من سوء الحال والضنك والاضمحلال

ومن اعماله السيئه قتله امرأته واخيه بناء على اشارة وزيره الذي سعى فى حقه لدى اخيه بانه يتالب مع الجنود المجمكه للاضرار به وامر بقتل امه وقتل ايضاً كاليومين ملك اسبارطه الذى حظى بالاكرام والاجلال من افرجيطه والسبب فى قتله هوانه بينما كان بطليموس فى احتفال ديني للاله سيرابيس اراد كاليومين ان يثير خواطر اهل الاسكندرية ضد الملك غير انه لم يبلغ منتهى اربه بل صار القبض عليه هو واحزابه ولم يجد معهم موردا سوى الموت ولم يكتف بطليموس بذلك بل بلغ به الحنق ان امر بصلبه وبذبح امه وامرأته واولاده بالقرب منه

ومات بطليموس غير ما سوف عليه من احد وقد اخفى اصحابه فى الملاهي وندماوه فى الشهوات خبر موته كي يتمكنوا من نهب خزائنه واقتسام ممالكه

الملك بطليموس ايفان اوفينفوس

من ٢٠٥ الى ١٨١

انتهى الامر اليه بعد موت ابيه وكان عمره لا يبلغ خمس سنين ونصف وفي مدة كفالته استرد انطيوخوس ملك الشام جميع الاقاليم التى افتتحها فيلو باطور عنوة ثم وهبها مهراً لابنته فى يوم زفافها بايفان سنة ١٩٣ وفي السنة الثامنه عشرة من حكم هذا الامير اختلت الامور وارتبكت الاحوال وتفاقم الفساد بسبب سوء تصرف من بيدهم ازمة الاحكام وما طراء من المصائب والضنك على الانام الذين رأوا من الاجحاف بحقوقهم ما اداهم الى التعصب وخلع ربقة الطاعة من عنقهم ففشت الفتن وعمت المحن واضطربت الاحوال وساء المآل ولم يزل الامر كذلك حتى استوءصلت شأفة هذا الاختلال بموت الملك ايفان مسموماً في شتاء سنة ١٨١ ولما اعتلى هذا الملك اريكة الديار المصريه اصدر من مدينة منفيس المنشور الاتي الى افراد الامة المصريه

المنشور

فى ١٠ امشير من السنة التاسعة حضر الى منفيس كافة روءساء الدين وكل من صرح لهُ بالدخول فى المحل المقدس لتلبيس الالهة وذلك للاحتفال بتتويج الملك بطليموس الدائم الحياه محبوب فتاح الاله الايفاني وجلوسه على اريكة الملك وعند ما تم الاجتماع وانتظم عقده صدر المنشور الاتى وهو

من حيث ان الملك بطليوس الدائم الحياة محبوب فتاح الاله الايفانى ... الخ قد بذل جهد المستطيع فى جلب انواع الخير الي الهياكل وصرف المبالغ

الجسيمة لخدمتها ولم يدع وسيله في عمل البر والاحسان الا اجراها حتى صارت في ايامه الشعوب عموماً ورعاياه خصوصاً متمتعين بالبركة والخصب والرفاء يمرحون فى رغد العيش فقد اقتضت رافته العظيمة ومراحمه التى لا تقع تحت حصر الغاء بعض الضرائب وتخفيف البعض الاخر ... الخ واطلاق سراح المسجونين مرتكبي الجرائم الكبيره الذين حكم عليهم بالعقوبات الشاقة

وقد صدر امره ايضاً بابقاء المصاريف المقرره سنويًا لخدمة الهياكل على ما هى عليه نقوداً كانت او غلالا وكذلك ما يخص الالهة في الكروم والبساتين وجميع ما لهم الحق فيه من ايام والده واعفاء القبائل القسيسيه من السفر الى سكندريه بطريق البحر

وان كل من نبذ اوامر الحكومة وشق عصا الطاعة وانتمى لارباب التعصب والشقاق ومن كان معارضا لمنهج الحكومة فانقلب مذعنا لاوامرها منقادا اليها يرد اليه ما اغتصبته الحكومة من اراضيه واملاكه ولا يحرم منها قط بل يكون له الحق بالتمتع بها

ثم انه لكون دخوله مدينة منفيس انما هو بصفة اخذ بثار ابيه ومستول من بعده على تاج المملكه فتطيبا لخاطره ودرءا للمفاسدقد عوقبت الروءساء الذين كانوا فى عهد ابيه يبثون الفتن والدسائس ويحرضون الناس على النزوع الى الاضطراب وذلك بمقتضى القوانين وعلى حسب قدر جرائمهم

وبما انه قد اهدى الهدايا الفاخرة النفيسه للاله ابيس والاله منيفيس وسائر حيوانات مصر المقدسه حتى سرت الكهنة من هذه الاعمال الخيرية فقد اوجب هؤلاء الكهنة على نفوسهم زيادة التعظيم والتبجيل اللائقين بمقام الملك بطليموس الدائم الحياة محبوب فتاح الاله الابيفانى وقد امر ان يشيد تمثال

بصورته في كل هيكل و بوضع بحيث يراه الزائرون وان يجعل له تمثال مذهب ومحل للصلاة كذلك فى اعظم الهياكل المقدسه وان يصير الاحتفال كل سنة بعيد يمكث خمسة ايام مبدوءها اول شهر توت وان يضع المنوطون باجراء القرابين واهراق النبيذ تيجانا على رؤوسهم ما دام هذا العيد قائما

ومن الواجب نقش هذا المنشور على اعمدة من الاحجار الصلدة بالحروف المقدسه او الحروف اليونانية وتحفظ هذه الاعمدة فى هياكل الدرجه الاولى والثانية والثالثه الموجودة بالقطر . آه

وقد عثر بعض مهندسى الفرنساويين فى سنة ١٧٩٨ على احد هذه الاحجار بقرب مدينة رشيد فكان هذا الحجر سبباً لكشف اسرار الكتابة الهيروغليفية

بطليموس السادس فيلوميتوراى محب امه

من ١٨١ الى ١٤٦

كان حديث السن حين تولى الملك ومن ثم كانت امه كيلوبتره تباشر اعمال المملكة بدلا عنه الى ان يفع وترعرع و بلغ اشده ولما استلم زمام الاحكام ومضى من حكمه احدى عشرة سنة شبت نيران الحرب بين مصر وسوريا فانهزم المصريون فيها وكان محل الواقعة بين مدينة بيلوز وجبل كزيوس وانجلت عن اسر الملك بطليموس وفى اثناء اسره بايع اهل الاسكندريه اخاه افرجيطه درءا للفتن التى تحدث غالبا عند خلو كرسي المملكه

و بعد مضى اربع سنين انجلى ملك الشام عن مصر بعساكره واطلق سراح الملك فيلوميتور فعاد الى الاسكندرية وشارك اخاه فى الحكم حولين كاملين ثم رضي افرجيطه ان يكون مطلق التصرف فى بلاد ليبيا وان ينفرد اخوه بالحكم

على مصر كما كان وذلك بسبب تداخل الرومانيين الذين منعوا السوريين من الاغارة على مصر مرة اخرى وبعد مدة ثار الخصام بين الاخوين واشتدت العداوة بينهما فاخذا يتحاربان مدة اربع سنين اعقبتها هدنة هجم الملك فيلوميتور فى خلالها على سوريا واستولى عليها ثم مات وكانت مدة حكمه ٣٥ سنة

بطليموس السابع افرجيطه الثانى او اوراخيطس

من ١٤٦ الى ١١٧

حينما علم هذا الملك بموت اخيه انتهز الفرصة و بارح مدينة شيرين بجيش جرار قاصداً مدينة اسكندرية حيث قتل ابن اخيه وتولى الملك بدلا عنه وكان هذا اول ما اتاه من المنكر واجترحه من المآثم والمظالم التى طالما وقعت منه وكان يفتخر بعملها ومن ذلك انه بينما كانت اهالى مدينة منفيس محتفلة بعيد ميلاد بكر انجاله امر بقتل جملة اشخاص من السير ينيين الذين رافقوه الى مصر حيث بلغه انهم كانوا يتحادثون فيما بينهم بشأن الملك ومحبوبة له تسمى ايرين وما زال سالكاً برعاياه سبيل الجور والاعتساف مدة ١٥ سنة حتى هموا بالخروج عن الطاعه ومالوا الى بث الثورة والشقاق فلما توسم منهم ذلك وعلم انــه ناتج مما يجريه من الظلم والجور فرهاربا من الاسكندرية وحشد جنوداً من الخارج بقصد تأييد ملكه فاظهرت المصريون عند ذلك ما كمن فى صدورهم من الحنق والحقد عليه فاخذوا يكسرون تماثيله وبدلوا اسمه بكاكرجيطه ومعناه المسيء الضار ليطابق الاسم المسمى

ثم ان افرجيطه عاد ثانياً الى الاسكندرية واستولى على زمام الملك بجيوشه المجمعه ومن هذا الحين تغيرت اطواره وتحسنت اخلاقه وسلك بالرعية مسلكا حسنا واخذ يوطد الامن فى انحاء ممالكه مثابراً على الاشتغال

بالعلوم والفنون حاثا على التمسك باذيالها والتعلق باسبابها وتوجيه الهمم اليها لما رآه من اهمال الجمهور لها وعدم اقباله عليها واستدعى اهل العلم والصنائع وقابلهم من لدن مكارمه باحسن قبول واسبغ عليهم جزيل نعائه واخذ يغترف من بحار علمهم ويرتشف من جداول معلوماتهم رحيق المعارف وسلسبيل الادب والحكمة حتى ارتوت نفسه الادبية من ذلك واستحق ان يعد من اكابر عصره علما وفضلاً

بطليموس الثامن اولاطير

من سنة ١١٧ الى سنة ١٠٧

كان هذا الملك فى جزيرة قبرص حين مات ابوه واستدعى للجلوس على اريكة الديار المصريه فلما علمت بذلك امه كوكس وكانت باقعه مشهورة بالطمع والغاء الفتن والاضطراب انتهزت الفرصة فاشاعت انه يريد قتلها وحرضت عليه اهل الاسكندرية وعرضت كثيرًا من اتباعها وحاشيتها على العالم مصابين بجراحات عديده طمعاً فيما هى مزمعة عليه من تخلص الملك لها ولما راى ذلك اهل الاسكندرية اخذتهم الشفقة عليها فقاموا لتعضيدها على قدم واحد فاضطر الملك ان يعود الى قبرص هرباً مما عساه ان يقع راضيا من الغنيمة بالاياب

بطليموس السابع اسكندر الاول

ثانى اولاد كيلوبتره

من سنة ١٠٧ الي سنة ٨٩

كان بين هذا الملك وبين امه شقاق دائم وذلك لسوء تدبيرها وفساد

اخلاقها وشروعها عدة مرات فى العبث بحقوق ابنها فلما تخيل منها ذلك وعلم ما يخالج صدرها لم يكن منه الا ان قتلها وفر هاربا الى جزيرة قوس تخلصا من انتقام الامة منه فبويع اخوه سوطر الثاني

سوطر الثانى

﴿ من سنة ٨٩ الى سنة ٨٢ ﴾

قد اوجد عود سوطر الثانى فرحا عظيما فى قلوب اهل الاسكندريه دعاهم الى تسميته بالملك المرغوب اما اهل طيبه فلم يذعنوا لطاعته وابوا ان يكون ملكا عليهم وجنحوا الى الثورة والعصيان ودأبوا على ذلك حتى قاتلهم فعادوا الى الهدو والانقياد الى اوامره بقوة جنوده وشوكة عساكره ونتج من هذه الحرب خسائر جسيمه واضرارات مست مبانيها العظيمه

بطليموس العاشر اسكندر الثاني

﴿ من سنة ٨٢ الى سنة ٧٣ ﴾

لم يترك هذا الملك ماثرة يذكر بها او عملا تلهج به الالسنة او تتحلي بتدوينه صحف التاريخ حيث انه تولى فى وقت كانت بضائع المصاعب فيه رائجه واسواق الفتن نافقه اذ كانت البلاد من الداخل متفرقة الكلمة بسبب التحزبات والتعصبات وكانت في الخارج ضعيفة القوة قريبة التلاشى والاضمحلال بسبب انحصارها بين املاك الرومانيين والسوريين والليبيين والسيرينيين وقد طمعت خاصة الملك واهل بطانته فى الاهالى فسربوا الى خزائنهم اموال الجبايه وطالما بذل هذا الملك جهده فيما يستجلب به قلوب رعاياه فلم يتيسر له ذلك لما جبل عليه طبعه من الجفاء وقلبه من القسوة والخشونة ولم ينل من رعيته الا الشدة

الكراهة والبغضاء التي تأصلت فى قلوبهم حتى نفرت منه عساكره وغضت عنه الطرف وهجرته اخوانه ولما احس بذلك لم يسعه الا ان فر قاصداً مدينة صور حيث قضى باقي حياته بها موصيا باعطاء مصر للرومانيين

بطايموس اولطيس

من سنة ٧٣ الى سنة ٥٢

لقب هذا الملك بهذا اللقب من باب التهكم والسخرية لشغفه بالمزمار وقد نسج على منوال سلفه واقتفى اثره في الانكباب على الشهوات والانغماس فى المعاصى حتى انه فى مدة الاحدى والعشرين سنة التى حكم فيها مصر لم يذكره التاريخ بذكر يستحق عليه الثناء بل وصفه بانه فتح على رعيته ابواب الظلم واطلق الجور من عقاله عليها وغير ذلك كقتله بنيرنيس ابنته التى قامت مقامه مدة مغيبه برومه

كيلوبتره

من سنة ٥٢ الى سنة ٣٠

هى اول بنات بطليموس اولطيس جلست على اريكة الملك مع اخيها القاصر وفى السنة الرابعة من حكمها هجم قيصر على بر مصر فخرج اخوها لقتاله وبينما هو يقاومه سقط فى النيل فمات غريقاً فى الذب عن وطنه وكانت مصر اذ ذاك محاطة بالخطوب والكروب من كل جانب اذ كان متريدات يحاول الاستيلاء على مدينة بيلوز ممدوداً بجيش سورى جرار من جهة وقيصر يهاجم الاسكندريه من جهة اخرى وقد دافع اهل الاسكندرية عن مدينتهم دفاع من باع حياته ووهب نفسه فى خدمة الوطن

اما كيلوبتره فعزلت عن التخت بسبب طمعها ثم توصلت الى الدخول

فى احدى قاعات السراي الملوكيه ملفوفة فى بساط محمول على ظهر احد الخدم وبقيت هناك تنتظر قيصر ٠٠٠٠ ولما تم استيلاء هذا الامبراطور على الاسكندر يه امر بحرق جملة اقسام من هذه المدينة انتقاما وتشفيا من اهلها الذين قاموا بحق الدفاع ولما رأى كيلوبتره افتتن بجمالها الرائق فحبها حبا مفرطا واعادها الى سرير الملك فحكمت مع اخ اخر لها تزوجت به ثم قتلته طمعا بعدان حكم معها ثمانى سنين (٤٢) ولما انفردت بالحكم فى مصر ارسلت الى انطوان واوكتاف اسطولا حربياً اعانة لهما على كاسيوس ورضى مجلس التربومفير ان يكون ابنها بطليموس قيصر يون الذي رزقت به من جول قيصر ملكاً على بر مصر ثم لما شبت نيران الحرب بين انطوان واوكتاف المذكورين وانهزم اوكتاف فى واقعة اكتيوم رأت كيلوبتره ان الانحياز الي اقوى الطرفين اسلم عاقبة لها والارتباط به ادعى لتأييد نفوذها وتوطيد مشربها وسعت ان يشملها ذلك الاقوى وهو انطوان بانظاره ويمدها بحمايته فحبط سعيها وذهب ادراج الرياح اذ انه لم يجبها على طلبها بل بادر بالاستيلاء على مدينة بيلوز ثم على الاسكندرية فخشيت كيلوبتره انه متى وصل اليها يعاملها معاملة الارقاء فلم يكن منها الا ان اطلقت على نفسها صلا فماتت فى ١٥ اغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد المسيحى وكان هذا اليوم هو اخر ايام العائلة الملوكية التى خلفت الاسكندر على ملك مصر

المدة الرومانية

كانت نصرة اوكتاف حادثة شؤم على بلاد مصر اذ صارت هذه الاخيره اقليا اي جزءًا تابعًا للملكة الرومانيه يحكمها مدير و يتولاها نائب من قبل هذه المملكة وفى سنة ٢١٦ هجم الامبراطور كراكلا على الاسكندرية بخيله ورجله فجاب لها الدمار واوردها موارد الاندثار وفشت فيها المظالم فى عهد كل من الامبراطورين مكرين واليوجبال ومن بعدهما من الامبراطره ما عدا سبتيم سيفير حتى صارت مهدا لحوادث تقشعر منها الجلود و يلين رافة بها الحجر الصلد

وفى سنة ٢٦٩ استولت الملكة زنوبيا ملكة بلمير (بلاد الشام) على الاسكندرية ثم نزعها منها اورليان فى سنة ٢٩٨ وقد فوق هـذا الامبراطور من قوس القساوة سهم النهب والحرق وسفك الدماء الى هذه المدينة حتى اصبحت خاوية علي عروشها ثم عادت الى الانتشار فيها الديانة المسيحية التى ادخلها بمصر القديس مرقص بعد ان عجزت امبراطرة الرومان عن مقاومتها لتصدى امبراطرة القسطنطينيه لحمايتها والذود عنها من ابتداء الامبراطور قسطنطين وقد اهتم آبا الكنيسة والبطارقة في اعادة مدرسة اسكندريه الى ما كانت عليه من العمران والشهرة وعلو الشان فوطدوا فيها القواعد الدينيه والمبادىء المليه بعد ان اقتفوا آثار البدع ودحضوها

وشيد بالاسكندريه وجهات الدلتا (المنوفية والغربيه) صوامع عديده للمتعبدين ولكن نظرا للحقد الكامن في قلوب النصارى للديانه الوثينه فقد تعاقد هؤلا النصارى علي ازالة هذا الدين وكانت لذلك مدينة الاسكندريه منظر اهوال ومسرح شدائد لايتسنى للقلم ان يقوم بوصفها

ولما دخلت مصر بدعة اوطيشس وهي من اكبر البدع التى اقلقت بوجودها

فى هذا الحين الكنيسة الحديثه كانت الاسكندريه مركز اضطرابات عديده ومحط قلاقل جمه ادت الى انفصالها كلية عن رومه والقسطنطنيه

المدة العربيه او الاسلاميه

فى سنة ٦٤١ من الميلاد الموافقه لسنة ٢٠ من الهجره استولى الامير عمرو بن العاص بامر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على مدينة الاسكندريه بعد ان حاصرها ١٤ شهرا وفى مدة استيلاء العرب على هذه البلدة اخذت محاسنها وسكانها فى النقصان والقله واختفت منها الديانة المسيحيه ولم تكن اوروبا فى هذا العهد ذات تجارة بحرية خاصة بها بل كانت الاسكندرية مع ما الم بها من الحوادث المفجعة مركز تجارة واسعة وثروة عظيمه وان لم يبق لها من اهميتها القديمه سوى شىء يسير على انها كادت ان تعود الي حالتها الاصليه بالتفات خلفاء بغداد اليها خصوصاً المأمون فانه شيد بها مبانى عظيمة تضاهى فى العظم والمتانة ما سبقها من مبانى اليونانيين

ولما استولي الخلفاء الفاطميون على مصر سنة ٩٦٩ ميلاديه خولوا الانتشار للعلوم والفنون والتجارة بما منحوه لها من التعضيد والحمايه غير ان حال الاسكندرية لم تتحسن عن ذى قبل لانتقال مركز الحكومة منها الى مدينة القاهره وبذلك انحطت مدينه البطالسة على رتبتها وصارت من عداد مدن الرتبة الثانية من مدن مصر وما كادت عرى الصلات والارتباطات تتحكم بين اوروبا والمشرق حتي نشأت الحروب الدينيه التى ادت الى انقلاب العالم المتمدن وذلك فى الحربين الصليبتين الاولى والثانيه (من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١١٤٨) ولم تتغير حالة الاسكندريه عن اصلها لحد سنة ١١٧١ التى دخل فيها صلاح الدين الكردى موءسس الدولة الايوبيه ببلاد مصر واخذ الخلافة من الفاطميين وطرد

الصليبيين من الشام ومن هذا الوقت اخذت الحروب الصليبيه تتتابع بدون ان ينتصر الصليبيون فى واحدة منها وفى سنة ١٢٠٢ استولى البنادقة سكان مدينة فينزيا على مدينة الاسكندريه فعاد اليها فى ايامهم شيء من بهجتها الاصليه وذلك بعلاقاتها التجاريه بالشرق الاقصى و بالبحر الاحمر و بحر الهند ثم دمرها ملك قبرص ولما رأى البنادقة انهم مجبورون على التخلى عنها حرقوها من اولها الى اخرها واما فى ايام المماليك فلم يعلم عنها شيء اصلا اذ ان تاريخ حكومتهم الاستبداديه قاصر على ذكر القاهره وما جاورها من البلاد التى كانت ميدان تعصبهم ومسرح اعمالهم الفظيعة

وفى سنة ١٣٦٧ الموافقه لسنة ٧٦٧ من الهجره اغار الافرنج على الاسكندريه وما انتصبت هذه المدينه على قدميها الا بصلاتها التجاريه التى لا بد منها مع البلاد الاخرى واهمية شهرتها السابقه ولما استولى السلطان سليم الاول على مصر سنة ١٥١٧ لم تكن الاسكندريه زاهرة كما فى الزمن السابق غير انه كان يوجد بها بعض حركه تجاريه ناشئه عن تردد التجار البنادقه وملاحي البحر الابيض المتوسط عليها وقد اخذت تحت حكم الترك تسير سيرًا حثيثًا الى طريق الاندثار وسبيل الدمار حتى انمحى وتلاشى فى زمن يسير ما اسسته العرب وشيدته من المبانى الفخيمه وقد جعلتها المماليك الذين كانوا تارة يخضعون الى السلطان وطورًا يعصونه فى الحالة السيئة التى رأتها بها الفرنساويون في اخر القرن المنصرم وفى ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ الموافق ١٤ مسيدور (وهو الشهر الثانى من السنة الجمهوريه وابتداؤه ٢٠ يونيو وانتهاؤه ١٩ يوليه) اي السنة السادسه من تشكيل الجمهوريه الفرنساويه وسنة ١٢١٣ من الهجرة النبويه استولى الجنرال بونابرته على مدينة الاسكندريه بفرقة من العساكر

وكان لا يبلغ عدد سكانها ٧٠٠٠ نفس وقال بعض المؤرخين فى هذا الصدد ما يأتى « يصعب على الخلف ان يصدق ان ثلاثة الآف نفر من الفرنساويين استولوا فى اقل من ثلاثة ساعات على مدينة الاسكندرية التى بالنسبة لمنعتها وحصانتها كانت تعتبرها الدولة العليه مفتاح ممالكها الافريقيه وقد وقعت هذه المدينة فى قبضة الجنرال بونابرته مثل ما وقعت فى قبضته من قبل ذلك بمدة يسيره جزيرة مالطه التى كانت مشهورة ايضا بأنها بعيدة المنال متينة الحصون ولما تم استيلاء هذا الفاتح على تلك النقطة الحربيه المهمة اخذ فى تتميم فتوحاته متقدما الى غيرها من المدن والبلدان بعد ان سلمها لجملة من مهندسى الجيش ليرسموا مواقعها فكأن بونا برته اسكندر اخر اتى بعد واحد وعشرين قرنا ليعيد الاسكندريه الى ما كانت عليه من العز والبهجة والبهاء »

وفى عهد ساكن الجنان المرحوم محمد علي باشا ومن خلفه على كرسى الديار المصريه سلكت مصر سبل التقدم والنجاح وتخلصت مدينة الاسكندرية من حبائل عاديات الدهر ونكباته وصارت تمتد شيئًا فشيئًا الى ان كادت تبلغ الحدود التى حدها لها مؤسسها الشهير و بعد ان كانت ميناها غير كافية لمرسى المراكب التى كانت تحمل اليها جميع المحصولات من الانحاء الشاسعه اصبحت فى سعة ورحب حتى صارت تعتبر الميناء الاولى فى الشرق بعد القسطنطينيه

وقد زالت عنها هذه الخيرات المتدفقه والنعم الجزيله بسبب عصيان الجهاديه فى سنتى ١٨٨١ و١٨٨٢ ميلاديه فتخربت من جراء مذبحة ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ وبعد هذا التاريخ بشهر على التمام رمت الانكليز قنابلها عليها ريثما ابتداء العصاة فى احراقها وها هى اليوم قد لبست من الجدة والبهجة ثوبًا جديدًا ذا رونق عجيب فعسى ان لا تبليه حوادث الدهر وتقلباته

اسكندريه القديمه

قال استرابون : كانت مدينة الاسكندريه محصورة بين البحر الملح وبحيرة مريوط بحيث لا يوصل اليها برا الا من جهتين وكان بازائها جزيرة فاروس التى احدثت بوضعها مع الساحل ميناء آمنة من رياح الشمال الغربي وصار ايصال هذه الجزيرة بالقارة بواسطة جسر يسمى هبشتدبون (ومعناه ان طول هذا الجسر سبعة استادات اى ٨٧٥ خطوه) وذلك للانتفاع بهذه المزية العظمى وكان طول هذا الجسر ينتهي من جهة المدينه بمكان يسمى « المحل الاكبر » عند سفح التل المسمى في هذه الايام بكوم الناضوره او كوم نابوليون وكان بنهايتى هذا الجسر قنطرتان لكل منهما قلعة حصينة بجانبها وكانت كل قنطرة موضوعة فوق اعمدة عظيمه ذات ارتفاع يمكن للمراكب معه المرور من تحته وانقسمت الميناء بهذا الجسر الى قسمين شرقى ويسمى بالمينا الكبرى وغربى ويسمى بمينا اونوستوس ومعناه العود بالسلامه وكان فى الشمال الشرقى من جزيرة فاروس شعب صغير معرض لصدمات الامواج فصار وصله بالجزيره بواسطه جسر ضيق وفى اخر هذا الشعب شيدت المنارة المعدودة من عجائب الدنيا السبع وكان بمدخل المينا من الجهة اليسرى قصر عظيم متين البنيان مشيد على الرأس المسماة قديما برأس لوشياس (طابية السلسله الآن) وكان في نهاية هذه الرأس صخور طبيعيه تسمى اكرولوشياس ومن مزاياها الطبيعيه المفيدة تقليل قوة الامواج عند مصادمتها لها وكان بقرب هذه الصخور حوض مغلق معد لمرسى المراكب البحريه الملوكيه

وقال استرابون انه كان يوجد حوض اخر تجاه الجزيرة الصغيرة المسماة انتيرودوس وكان يرى على الجزء الشرقى من المينا حارة السرايات الموجودة

على شاطئ البحر وكان يقربها التياترو والبوز يدوم وهيكل نبتون الذى كان موضوعا على لسان من الارض داخل فى المينا وكذلك تيمونوم مارك انطوان الذى شيده هذا الامبراطور على طرف الصخور الموجود، قبل البو زيدوم

ثم القيصريوم او السبستيوم الذى كان يرى عند مدخله مسلتان قائمتان والامبوريوم وكان موجودا على بعد ٣٠٠ متر من القيصريوم ومعنى الامبوريوم البورصه او السوق وكان يلى الامبوريوم ما كانوا يسمونـه ابوستاز اى مخازن البضائع ومستودعاتها وكانت هذه المخازن مشيدة على طول الرصيف واما ما كان يلى ذلك لغاية الهبتستديون فكانت فيه معامل البحريه وترسخاناتها وكان ورود المراكب على مرفاء اونوستوس نادرا جدا رغما عن كونه اوسع من الاخر بكثير والسبب فى ذلك انه كان يوجد حوض يسمى الكيبوتوس متصل بمينا اونوستوس بنهر ضيق وكان ماؤه متصلا بماء الترعه التى كانت تمر من الجنوب الغربي من الاسكندريه وكانت جميع محصولات مصر المخصصه للتصدير الى الخارج تشحن من هذا الحوض ثم تمر منه الى المينا الكبرى ومعنى كيبوتوس المتقدم الذكر الصندوق

وكان مما يلي الترعه بقليل تحت اسوار المدينه قرية نكروبوليس او مدينة الاموات وقصر تسرزونيز المشيد على نهاية راس مربوط التى تسد الموردة من الجنوب الغربي ويعلم من جميع ما تقدم ان الاسكندريه كانت موقعاً حربيا عظيما ومركزاً تجارياً مهما

واما شوارعها فكانت منتظمه بحيث تسمح للرياح الشماليه المختصه بالبحر الابيض المتوسط ان تدور فى داخلها وكانت هذه الشوارع غاية فى الانتظام حتى ان الواقف اذا سرح نظره من اولها لا يحجبه شيء عن تلاقى الافق من اخرها

وكان يمكن للعربات ان تطوف فيها بالحرية التامة وكانت الصهاريج المجعولة لشرب العامة والتى داخل المنازل تدفق منها المياه العذبة النقيه على الدوام وكان بها طريقان يتقاطعان فى زوايا قائمة عرض كل منها بالمتراي ماية قدم تقريباً واحدهما كان أخذا بطول المدينه والثانى بعرضها فالاول وهو اكبرهما كان ممتداً بين بابى كانوب ونكروبوليس وكان يبلغ طوله ٣٠ استاده اى ٣٧٥٠ قدم والثانى من الميناء الكبرى الى بحيرة مريوط وطوله يبلغ سبع او ثمان استادات وكان فى ملتقى هذين الطريقين اى مركز البلد اكبر محلاتها العموميه وبه تتصل اقسام البلد الاربعه واكبر هذه الاقسام قسم السراية (جهة المسله الان) ثم قسم السربيوم اوقسم راقوطيس اورقوده (جهة عامود السوارى)

وكان قسم السرايات او البروشيون شاغلا للفضاء الممتد من الميناء الكبرى والساحل الى باب كانوب وكانت فيه القصور والسرايات وميناء الملوك وميناء انترودوس والتياترو والبوزيدوم والتيمونوم والقيصريوم والمتحف الجمناز وهو عبارة عن بنا مشيد الاركان متين الجدران ذى ابواب شاهقة عاليه مزين بالنقوش والرسوم التى تخلب العقول بالوانها الباهره وكان طوله اكثر من استاده اى ١٢٥ خطوه ومن منذ ما وقعت الاسكندريه فى قبضة جول قيصر صار تحصين قسم البروشيون وفصله عن باقي المدينه وحوصر هذا القسم سنة ٢٧٠ من الميلاد في اخر ايام الملك كلود الثانى وتخرب في اواخر حكم اورليان سنة ٢٧٥

واما قسم راقوطيس فقد كان ممتداً على ساحل ميناء اونوستوس وكان فيه هيكل سيرابيس الذي شيده ووسعه بطليموس بن لاغوس مرة اخرى وهو

على جزء مرتفع من الارض كائن بقرب المدينة في النهاية الجنوبية منها

وما زالت ملوك البطالسه تتنافس في تحسين الاسكندريه فكانوا يحضرون لها مواد البنا من جميع انحاء مصر خصوصاً من اثارها العظيمه ومبانيها القديمه حتى صارت الاسكندرية مشيدة بالمواد البنائيه المصريه وصار فيها كثير من المحلات العموميه الواسعه الجوانب والقصور الشامخة والهياكل الباذخه التى بها انواع الرخام والخلاصة فكانت هذه المدينة ذات منظر يسر الناظرين

هذا هو بالنسبة للاثار الماديه واما الاثار الادبيه والعلميه فقد انشاء فيها بطليموس سوطر مكتبة عظيمه جمع فيها انواع كتب العلوم والفنون حتى بلغ عدد مجلداتها نيف و ربعماية الف واسس محلا علميا سماه بمدرسة الاسكندرية وكان يتخرج منه اعظم البلغاء والفلاسفة الذين نبغوا فى جميع العلوم وكان بطليموس نفسه يحضر دروس الهندسة على اقليدس معيرًا اليه اذنا واعيه وعينا صاغيه منتبهاً صامتاً كاحد التلامذة

وقال ديودور ان عدد سكان الاسكندريه كان كثيرًا جدًا بالنسبة لاتساعها اذ كان يبلغ ايام اغسطس نيف وثلثماية الف نسمة من الاحرار وضعفها من العبيد وقال العلامة كلفتون كنت اتعجب حينما انظر في سكان الاسكندريه كيف شغلوا جميع مساكنها مع عظيم اتساعها وكيف وسعتهم هى مع كثرتهم ووفرتهم اذ كانت الطرق دائما غاصة بالمارة والعامة فى ازدحام زائد على اختلاف حوائجهم وكانت حركتها التجاريه مع سائر البلاد فى نشاط دائم بواسطة البحيرات والترع فترعة كانوب كان يمكن للسفن ان تسير فيها من النيل الى الاسكندريه وهى التى كانت تمد الصهاريج الموجودة بالمدينة بمياهها الروية مع ما كان ينتفع بها فى توصيل التجارة والبضائع الى الاسكندريه

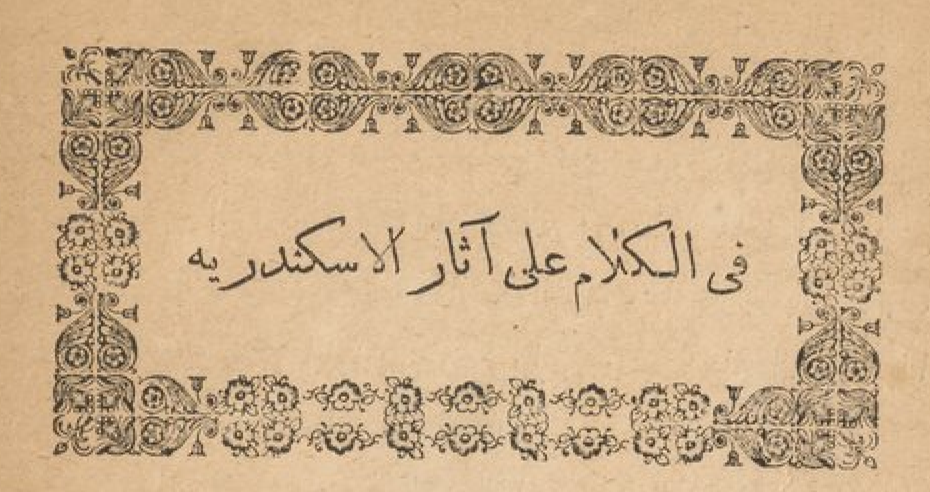
و بسببها اخصبت الارض التى على شاطئيها المحفوفين بغيطان الكروم والبلح وغيرهما من الاثمار وكان عليهما ايضاً المنازل الحلويه والبساتين النضره التى تذهب بمشاهدة رونقها الحسن جميع الهم والحزن وتؤذن بانشراح الصدور وازاحة الكروب وكان عند طرفى المدينة المتقابلين قرى صغيرة زاد اتساعها زيادة عظيمة فالقرية التى كانت في الجنوب الغربي منها على ساحل البحر تسمى نكروبوليس والتى كانت موجودة فى الشمال الشرقي منها خارج باب كانوب فيما يلى الايبودروم تسمى ايلوزيس ونيكوبوليس وسميت هذه الاخيره بهذا الاسم تذكارا لانتصار اغسطس على انطوان

هذا وكانت الاسكندرية فى الزمن السابق مركز الدنيا المعلومة اذ ذاك ولهذا كانت تجارتها مع الهندوالقرطاجنيين والرومان في حركة مستمرة وبقيت محصورة فيهامدة ثمانية عشر قرنا الى ان فتح البرتغاليون طريق اسيا من راس الرجا الصالح

هذه كانت حالة الاسكندرية اليونانية فانها فى ايام البطالسة الاول بلغت اوج الرفعة وارتقت اعلى درجات السعادة فما كان احسنها من بلد تشبه الروضة الغناء والغادة الحسناء باسمة الثغر تبش فى وجه الوافدين عليها طلق محياها ولا عيب فيها غير انها تودع قلب من زارها حبا شديدا

واخر من حكم على هذه المدينة من عائلة اللاغيين كيلوبتره الموصوفة بفرط الجمال والحسن وهى التى قيل فيها انها شاركت ايزيس معبود مصر فى اوصافه وكانت تميل كثيرا الى الشهوات والحب حتى فتنت جميع الناس بحبها والقتهم فى شرك هواها .

———



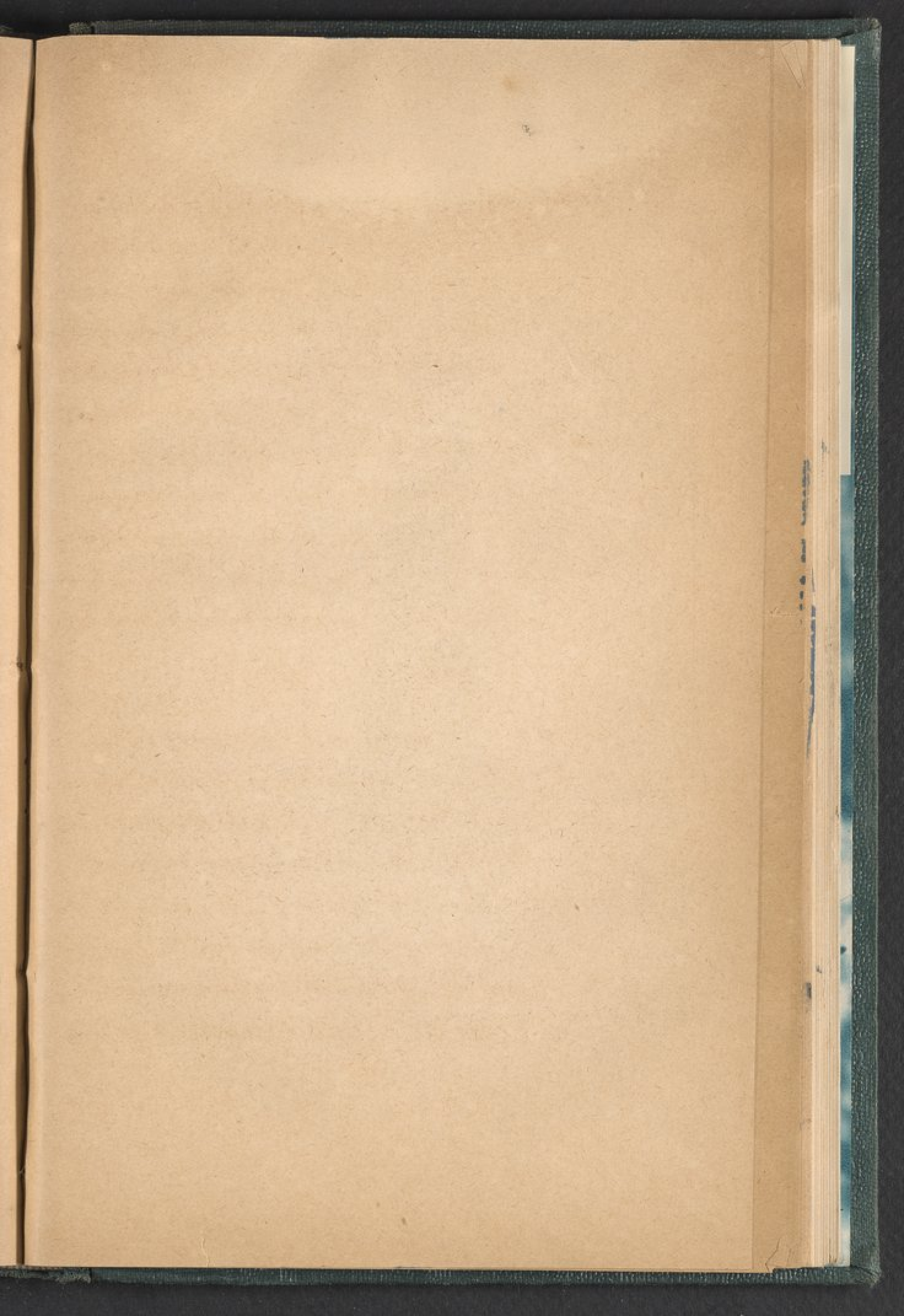
فى الكلام على آثار الاسكندريه

﴿ جزيرة فاروس القديمه ﴾

ان جزيرة فاروس التى تحد مينا اونوستوس (المينا الغربيه) من الجهة الشماليه الغربيه تحتوي على اطلال لا يخلو الاتيان بذكرها من بعض الفوائد فنقول ان فى هذه الجزيرة اطلال صهاريج قديمه محفورة فى الصخر ومطلية بالاسمنت وفى غربها بقايا مغارات مطلية بطلاء يرى عليه حتى الان رسوم ونقوش قديمه وتنقسم هذه المغارة الى جملة اقسام تتصل ببعضها وهى تشبه المغارات الموجودة علي ساحل نكر و بوليس وقد غطى البحر فى هذه الايام بقايا الابنية التي حول جزير فاروس وهذا مما يثبت انها كانت قبل اوسع من الان بكثير وقال بعض المورخين « انه كان يوجد بجزيرة فاروس بيوت مصريه وقرية كبيره تعود اهلها اغتيال السفن التى تضل عن الطريق لعدم موآتاه الريح لها او لسوء تدبير ربانها » وقال هرتوس بنسا « ان مدينة فاروس



المناره



كانت محصنة بجملة بروج شامخة ولشدة تقاربها من بعضها كانت تشبه السور العظيم » وكانت الصخرة الموجودة على بعد خمسة وعشرين او ثلاثين خطوة من نهاية رأس التين مسكنا لجملة من اهل الاسكندرية ومما يوءكد ذلك انه يرى بقرب الرصيف الجديد المانع للامواج جملة اعمدة مكسورة واحجار مطلية بطلائها الاصلى حتى الآن وقد كادت تتحول هذه الصخرة الي رمل لشدة تأثير المياه فيها

هذا وجزيرة فاروس القديمه متصلة الآن بالبر بواسطة اللسان القائم مقام الهبتستديون المتقدم الذكر وعليه توجد مساكن الوطنيين الآن وطول الجزيرة من نهايتها الشرقيه الى فنار راس التين الجديد ٢٦٠٠ متر ومتوسط عرضها يختلف من ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر ويظهر ان الجزيرة الصغيرة المشيد عليها الآن حصن آطه لم تكن قبل الا بمنزلة جون صغير جدًا بجزيرة فاروس

المنارة القديمه او منارة البطالسه

في النهاية الشرقية من جزيرة فاروس صخرة عرضها ٢٠٠ متروطولها ٢٣٠ متر كانت المنارة القديمه مشيدة عليها وفى موضعها اسست العرب طابية قائد باي ويمكن اعتبار هذه الصخرة كرأس كانت منفصلة من قديم الزمان عن البحيجزيرة الحاليه ثم اتصلت بها بواسطة جسر طويل وكان الابتداء فى تشييد ذلك الاثر المنيف فى عهد بطليموس سوطر وانتهاوءه فى عهد ابنه فيلادلف بمعرفة وادارة المهندس الشهير سوسترات د وسنيد بن دكسيفان

وكانت المنارة مركبة من جملة طبقات اخذة فى الصغر بالتدريج كلما بعدت عن الارض وكان حول هذه الطبقات شرافات محموله علي اعمدة متينة كان

اذا وقف فيها الانسان رأى جميع احياء مدينة الاسكندرية وضواحيها الى مسافات شاسعة

وقد اكد بعض المؤلفين ان المنارة كانت ثلاثية الشكل وان الجزء الاسفل منها كان عظيم الاتساع بحيث بلغ عرضه نصف ارتفاع المنارة الكلى وكان يرى مكتوبا على احد جرمانها ما نصه « من سوستُرات دوسنيد بن دكسيفان الى الالهة المساعدين للملاحين » وكانت النار تضرم على قمة هذا البناء الشامخ الذى كان يبلغ ارتفاعه اربعماية ذراع فتنبعث اشعتها الضوئية الى مسافة ٣٠٠ استادة اى ٣٧٥٠٠ خطوه واما فى النهار فكان الدخان يقوم مقام النار فى الليل وقال بعض المؤرخين انه كان يوجد باعلا المنارة مرآة مصقولة من الصلب تنعكس فيها صور المراكب بمجرد ظهورها على الافق واكد ابو الفدا وجود هذه المرآة فى سنة ٩٢ من الهجرة الموافقة لسنة ٧١٢ من الميلاد وقد علم مما سبق ان جزيرة فاروس كانت تسمى بهذا الاسم قبل ان يوجد بالاسكندرية مصباح تستضىء به الملاحون فى الغدو والرواح فالمنارة اى (الفنار) سميت باسم المكان الذي شيدت فيه وقد اطلق هذا الاسم على جميع المبانى التى من هذا النوع واتخذت منارة الاسكندريه مثالا يحذى عليه فى ما شيد بعد من المنارات وقال بلين انه راى بعينه منارات كابوبه و بوزول و رافين وجملة منارات اخرى على بوسفور تراسه وقال سويتون ان الامبراطور كلود شيد منارة اوستيا على مثال منارة الا سكندرية ومع ذلك فان وصف كلتا المنارتين مجهول لا يعرف على انه وجد على بعض النقود صورة منارة الاسكندريه ولكن اجزاء هذه الصورة كانت غير واضحة لقدم عهدها وقد شبه المنارة هيروديانوس المؤرخ اليونانى الذى كان عائشاً فى القرنين

الثانى والثالث من الميلاد فقال «انها كالقبور المصنوعة من ابنية منشورية الشكل موضوعة فوق بعضها»

هذا هو ملخص ما يوثق به من تاريخ المنارة وقد راينا من المستحسن ان نسرد ما ذكره المؤرخون فى هذا الموضوع تتميماً للفائدة فنقول

قال ياقوت يصف المنارة «واما المنارة فقد روا لها اخبارا هائلة وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادله وعن الحق مائله فهي من باب حدث عن البحر ولا حرج واكثرها باطل وتهاويل لا يقبلها الا الجاهل .... وقد شاهدتها فى جماعه من العلماء وعاد كل منا متعجبا من تخرص الرواة وذلك انما هى بنية مربعة شبيهة بالحصن والصومعة مثل سائر الابنية ولقد رأيت ركنا من اركانها وقد تهدم فدعمه الصالح رزيك او غيره من وزراء المصريين واستجده فكان احكم واتقن واحسن من الذي قبله وهو ظاهر فيه كالشامة لان حجارة هذا المستجد احكم واعظم من القديم واحسن وصفاً ورصفا واما صفتها التي شاهدتها فانها حصن عال على سن جبل مشرف فى البحر فى طرف جزيرة بارزة فى مينا اسكندرية بينها وبين البر نحو شوط فرس وليس اليها طريق الا فى ماء البحر الملح وبلغنى انه يخاض من احد جهاته الماء اليها والمنارة مربعة البناء ولها درجة واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسه وقد سقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين المكتنفى الدرجة فيرتقى الى طبقة عاليه يشرف منها على البحر بشرفات محيطة بموضع اخر كانه حصن اخر مربع يرتقى فيه بدرج اخرى الى موضع اخر يشرف منه على السطح الاول بشرفات اخر وفى هذا الموضع قبة كانها قبة الديدبان وليس فيها كما يقال غرف كثيرة ومساكن متسعه يضل فيها الجاهل بها بل الدرجة مستديرة بشيء كالبئر فارغ زعموا انه مهلك

وانه اذا القى فيه الشي، لا يعرف قراره ولم اختبره » وذكر ابن الاثير ان راس المنارة سقط سنة ١٨٠ هجرية بزلزلة عظيمة حدثت بمصر

وقال المقريزي في خططه ان منارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسه من ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيلبش لما كان بينهم وبين ملوك رومه من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا في اعاليها مرآة عظيمه من نوع الاحجار الشفافة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فيستعدون لها قبل ورودها وطول المنارة في هذا الوقت تقريبا ٢٣٠ ذراعا بعد ان كان طولها ٤٠٠ ذراع فتهدمت من ترادف الامطار والزلازل وبناؤها على ثلاثه اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث بناؤه مربع الشكل باحجار بيض وذلك نحو ١٠٠ ذراع وعشرة اذرع تقريبا ثم بعد ذلك يكون مثمن الشكل مبنيا بالحجر والجص وذلك نيف وستين ذراعا وحولها فضاء يدور فيه الانسان واعلاها مدور ورمّ احمد بن طولون شيئا منها وجعل في اعلاها قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبسوطه منحرفة بغير درج وفي الجهة الشماليه من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر ومقدارها على جهة الارض نحو مائة ذراع وبلغ ماء البحر اصلها وقد كان تهدم احد اركانها الغربية مما يلي البحر فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وفي ايام الظاهر بيبرس تداعى احد اركان المنارة وسقط فأمر ببناء ماتهدم منها في سنة ٦٧٣ وبنى مكان القبة مسجدا وهدم في ذي الحجة سنة ٧٠٢ من زلزلة ثم بنى في سنة ٧٠٣ وهو باق الى يومنا هـذا وبينها وبين مدينة اسكندرية في هذا الوقت نحو ميل وهي على طرف لسان من

الارض قد ركبه البحر وهي مبنية على فم مينا اسكندريه وليست المينا القديمه لانها فى المدينة العتيقه ولا ترسو بها المراكب لبعدها عن العمران وفي سنة ٣٤٤ تهدم من المنارة نحو ٣٠ ذراعا من اعلاها بالزلزلة التى كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب فى ساعة واحده على ما وردت به الاخبار المتواتره بفسطاط مصر وكان لهذه المنارة مجمع فى يوم خميس العدس يخرج فيه اهل اسكندريه الى المنارة من مساكنهم ولا بد ان يكون فيها عدس فيفتح باب المنارة وتدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون كذلك الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو»

وقال بعضهم انه قاسها فوجد ان ارتفاع الطبقة الاولى ١٢١ ذراعا والثانيه ٨١ ونصف والثالثه ٣١ ونصف وقاس بن جبير احد اضلاعها في سنة ٥٧٨ هجريه الموافقه لسنة ١١٨٢ ميلاديه فوجده يبلغ ٥٠ ذراعا وقال الجوابة الرحالة ابن بطوطه « قصدت المنار فى هذه الوجهة فرأيت احد جوانبه متهدما وصفته انه بناء مربع ذاهب فى الهواء وبابه مرتفع على الارض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما الواح خشب يعبر عليها الى بابه فاذا ازيلت لم يكن لهُ سبيل وداخل الباب موضع لجلوس حارس المنار وداخل المنار بيوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة اشبار وعرض الحائط عشرة اشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الاربع مائة واربعون شبرًا وهو على تل مرتفع ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد فى بر مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات الى ان يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل الى المنار فى البر الا من المدينة وقصدت المنار عند عودى الى بلاد المغرب عام خمسين وسبعماية فوجدته قد استولى

عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود الى بابه وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع فى بناء منار مثله فعاقه الموت عن اتمامه »

واقدم ما قيل في المنارة قصيدة شعر به منسوبة للشاعر اليونانى بوزيديب الذى كان مرافقاً لكاليماك فى بلاط الملك بطليموس فيلادلف وقد وجدت هذه القصيدة على ورقة من البردى في سيرابيوم منفيس مع اربعة واربعين بيتا من رواية محزنة مفقود باقيها وعدة ابيات اخر وحساب ما صرفته الخزينة العمومية من العيش والقمح ثم قصيدة اخرى يذكر فيها اسم ارسينوه امرأة بطليموس فيلادلف

ومؤدي القصيدة المختصه بمنار الاسكندرية هو « قد شيد سوسترات دوسنيد بن دكسيفان فى جزيرة فاروس هذه المنارة التى لا تنام عينها حبا فى سلامة اليونان ولا يوجد بمصر قاطبة جزيرة اكثر ارتفاعا من هذه ومن مزاياها العظمى انها تكون مأمنا للمراكب من الاخطار ولو بلغ البحر من الهيجان اشده وقد شيدت فيها المنارة ذاهبة فى الهواء على الصخور المنيعه والشعوب العزيزة المنال لتكون مرشدا للملاحين ودليلاً لهم فى الليل والنهار فاذا رأوا استعار النار في اعلاها وكانت تحملهم الامواج على متونها وتقذفهم من مكان الى مكان جعلوا مقصدهم بلا ريب جهة (تنروكير) فاذا انهجوا هذا المنهاج وسلكوا هذا السبيل لا يعدمون منك ايها الآله المنجى المساعدة والسلامه »

وقال هوميرش الشاعر اليونانى القديم الذي كان عائشاً فى سنة ٩٠٠ قبل الميلاد اى قبل تشييد المناره بازمان مديده فى الغناء الرابع من قصيدة الاوديسه ما ياتى « وفى وسط لجج الامواج قبل بلاد اجبتوس جزيرة تسمى

فاروس على بعد منها يساوى ما تقطعه المركب عادة فى نهار واحد اذا كان الريح معتدلاً وموافقاً وهناك توجد موردة مامونة منها ياخذ البحريون ما يلزمهم من الماء ثم يسيرون فى سبيلهم الى حيث يشاؤون »

ومن هنا يستنتج ان جزيرة فاروس كانت في ايام هذا الشاعر اليوناني الطائر الصيت بعيدة جدا عن الساحل والظاهر ان طمى النيل قرب الساحل منها الى الحد الذى نراه عليه الآن ونحن نستند فى قولنا هذا على ما قاله المؤرخ بلين الذى كان عائشاً فى القرن الاول من الميلاد وهو « ان الجزء الاعظم من بلاد مصر انما هو متولد من طمى النيل فى المدة التى تلت عصر هوميرس الشاعر »

وقال استرابون « ان الرأس الموجودة شرقى جزيرة فاروس كانت عبارة عن صخرة متسعة محاطة بالمياه من جميع جهاتها كباقى الصخور المجاورة لها وفيها منارة عظيمة مبنية بالرخام الابيض وتسمى باسم الجزيره والذى شيدها هو سوسترات دوسنيد نديم الملك وذلك لسلامة الملاحين وكانوا يضعون فى اعلاها اشارة تقصدها الملاحون من اعالى البحر كيلا يضلوا عن مدخل الميناء وسبب ذلك ان هذه الجهات منخفضة جداً ومحتوية على شعوب صلدة ورمال مجتمعه فكان المرور منها لا يخلو من الخطر وكانت الجهة الغربيه بهذه الصفة الا انها اقل صعوبة من الاولى وهى توصل الى مينا اخرى تسمى اونوستوس يوجد بداخلها مينا اخرى صناعيه هى والسابقة مفصولتان عن المينا الكبرى التى يوجد فى مدخلها المنار بجسر يسمى هبتستديون »

وقال قيصر فى شرحه « ان مدخل المينا ضيق جداً حتي ان المراكب لا يمكنها العبور منه ولما خشى قيصر ان العدو يستولى على المنارة احتلها بعساكره

ورتب عليها الحرس اللازم امكنه الحصول على الميرة من البر والبحر ولذلك ارسل الى اكثر الممالك المجاورة للحصول على مطلوبه من ذلك»

وقال ايضاً « ان فاروس عبارة عن برج مرتفع عجيب الهندام مشيد على جزيرة سمى هو باسمها »

وقال المؤرخ يوسيفوس (٣٧ - ٩٥) فى تاريخه حروب الاسرائيلين والرومانيين عند كلامه على منارة فزائيل المشيدة باورشليم « وشكلها يشبه شكل منارة الاسكندرية ففى اعلاها نار مشتعلة بمثابة مصباح للملاحين يمنعهم من الاتجاه نحو الصخور التى تسبب غرقهم ولكن اطوال منارة الاسكندرية اكبر من اطوال الاخرى » وقال ايضاً « ويصعب على المراكب الدخول من بوغاز الاسكندرية حتى فى وقت سكون البحر وهدوه والسبب فى ذلك هو ان البوغاز المذكور ضيق جداً ومملوء بالصخور الكثيرة التى ربما احادت تلك المراكب عن الطريق القويم ويوجد في الجهة اليسرى جسر عظيم اشبه شيء بذراع ضم اليه جميع المينا وكانت تضمها ايضاً من الجهة اليمنى جزيرة فاروش التى فى نهايتها برج مرتفع تضرم فى اعلاه نار تصل اشعتها الى بعد ٣٠٠ استاده فتبين للملاحين الطريق الواجب عليهم اتباعه »

وزعم يوسيفوس المذكور ان ارتفاع المناره ٩٠ ذراعا اي ٥٦ متراً فقط وان ارتفاع التل الذي يحملها ٣٠ ذراعا وهو زعم فاسد وقول باطل لان ارتفاع المنارة يكون فى هذه الحالة اقل من جميع الارتفاعات التى او زدناها عن المورخين الذين سلف ذكرهم وادعى ايفان الاسكولاستيكي الكاتب المنشي الذى كان عائشاً فى القرن السادس من الميلاد ان ارتفاعها يبلغ ٣٠٠ اورجيا (مقياس يونانى) وبما ان طول الاورجيا هو متر واحد و٨٥ سنتي فبناء عليه يكون

ارتفاع المنارة هو ٥٥٠ مترًا وهو ادعاء باطل وقول لا خيال له من الصحة لان استحالته ظاهرة من فرط عظم هذا الارتفاع ولو فرضنا ان المؤلف اراد ان يقول امبان وهو مقياس يونانى ايضاً بدلاً عن لفظة او رجيا لكان ارتفاع المناره ٧٠ مترا وهو قليل ايضاً

هذا هو ملخص ما اورده ثقاة المؤرخين من الاراء والاقوال وهو وان لم ينطبق على اصل المناره الحقيقى تمام الانطباق الا ان اغلبه قريب منه وما سوى ذلك فهو محض ترهات واباطيل وخرافات لا يجمل باللبيب الاريب ان يعيز سمعة اليها

وقال المؤرخ شامبوليون فى وصفها « انها عبارة عن صرح شامخ مبنى في جزيره صغيرة وصلها بطليموس بالشاطي بواسطة جسر طويل وكانت المنارة من انفع المباني التى شيدت فى زمن بطليموس سوطر لانها سهلت على الملاحين الملاحة بالجهات المجاوره للاسكندريه وكانت مركبة من عدة طبقات تأخذ في الصغر كلما بعدت عن وجه الارض وقيل ان ارتفاعها كان يبلغ ٤٠٠ ذراع وانه كان بداخلها درج يوصل الي جميع غرفها وكان يمكن للحيوانات ان تصعد الى اعلاها بواسطة هذا الدرج وكان يوجد منها فى القرن الثانى عشر من الميلاد المسيحي ١٥٠ ذراعا وتوجد صورة المناره علي جملة وسامات » وقال بلين ان تكاليفها بلغت ٨٠٠ تلان اى ١٦٠٠٠٠ جنيه

ومن الصعب آلان تتبع بقايا هذا الاثر الحميد وغاية ما نعلمه انه كان موجودًا ايضاً فى نهاية القرن الثالث عشر من الميلاد الا انه اندثر ولم يبق منه اثر فى القرن الخامس عشر وفى ايامنا هذه يرى عند هدو البحر بقرب سواحل مدخل المينا الكبرى بعض كتل من الرخام والجرانيت مغطاة بالماء ومن المرجح

أن هذه الاحجار هى من بقايا المناره القديمه و يوجد في تلك النواحي ايضاً قطع متكسره من الجرانيت من اختبرها ثبت لديه انها تدل على بعض مبان قديمه وقد صارت هذه البقايا بسبب طول مكثها فى الماء يابسة جدًا تتلقى مصادمة الامواج عن حصن قائد باي

ولا بدع ان اندهش المتفرج من هذه الجزيره التى كان موجودا بها احدى عجائب الدنيا السبع ومع ذلك فان هذا الاثر الفخيم الذى تخلد اسمه مدى الدهور والايام ما امكنه التخلص من عوادى الزمن بل صارت السواحل قبرا له لن ينشر منه الى الابد وعليه فقد اختفت المنارة بدون ان يهتم احد بحفظ صورتها الاصليه ومن تأمل يجد بقرب الحصن من ناحية الشمال صخره تسمى صخرة الماس يشاهد على سطحها عند سكون البحر وهدوه اثار ابنية قديمة ويرى حولها بعض احجار منحوته زعم بعضهم ان موضع المناره كان فى هذه الصخرة ولكنا نفيل رأيه بان هذه الصخرة لم تكن متسعة لاقديما ولا حديثا حتى انها تسع قاعدة بناء عظيم يشبة المناره

منارة العرب

من المعلوم ان سلاطين المماليك البحريه كانوا قد شيدوا في محل منارة البطالسه حصنا منيعاً محاطا بسور ذي شرفات وكان بداخله منارة مربعة فوقها اربعة منارات صغيره يعلوها مصباح تضرم فيه النار مدة الليل وكان هذا الحصن يحتوى فى ابتداء هذا القرن على آثار كثيره مختصة بالمدينة القديمه كحياض من الرخام وقبور واعمدة من الجرانيت وتيجان اعمدة ومدافع من مدافع ذلك الوقت المشهورة بزيادة طولها وقنابل من الاحجار مختلفة المعايير وكان في بعض مخازن ذلك الحصن اسلحة وخود وحراب وجعاب يظن انها مصنوعة من قبل الهجرة بزمن مديد وكان فى جهات اخرى من ذلك الحصن سيوف واسلحة علاها الصداء ويعلم من شكلها وما فيها من النقوش انها من اسلحة الصليبيين ومن تجريدة الملك لويز التاسع وقد هدمت عساكر بونابرته كل هاتيك المعاقل وشيدوا الحصن مرة اخرى فصار متينا بعيد المنال بعد ان بذلوا الجهد فى حفظ شكله الهندسى الاصلى وفى عهد المرحوم ساكن الجنان محمد علي باشا جرت عملية ترميمات تغير بسببها منظره ولما جاءت ايام شهر يوليه سنة ١٨٨٢ انهدم من قنابل الانكليز وصار اثرا بعد عين

المينا الكبرى

ان المينا الاصليه لمدينة سكندريه هى المينا الشرقيه التى كانت تسمى قديما

مانيوش بورتوس اى الميناء الكبرى وكان مدخلها محصوراً بين المنارة واكرولوشياس وقد وضح ذلك صاحب العطوفة ناظر المعارف العموميه في خططه فقال « ان المينا كانت مقفولة من جميع الجهات ما عدا الفم الذى كانت السفن تدخل منه الذى هو من جهة المنار وعرضه ٦٠٠ والظاهر انه كان منقسما الى قسمين احدها صغير وهو الذي كان من جهة المنار وقدره ١٠٠ متر تقريباً والاخر عرضه ٢٠٠ وكانا منفصلين بصخرة وهي الآن تحت الماء بقدر ٧ امتار وفى كتاب مانى الفرنساوى ان الفتحة الكبرى كانت بقرب المنار وتنتهى بصخور بنى فوقها قلعة ومنارتان والفتحة الثانية كانت بعد هذه وكان على نهايتها من جهة برج السلسله منار ثالث انهدم ولم يبق له اثر فى وقته وكانت المراكب تمر بين الثانى والثالث من المنارات ولكنه لصغره وكثرة صخوره كان لا يستعمل الا للمراكب الصغيره والآخر هو الذي كان يكثر استعماله وكانت الفتحات المذكوره تقفل بسلاسل من الحديد »

وكانت المراكب تتردد على هذه المينا بكثرة فائقة لزيادة اهميتها وجزيل منفعتها وكان اليونانيون والرومانيون يوسسون مساكنهم على الجزء الشرقي منها لان السفن كانت لا ترسو عليه اما مبانيهم الاخرى المخصصه للتجارة والمنافع العموميه فكانت على الجزء الداخل منها حول قرية رقوده القديمه وحوضى اونوستوس وكيبوتوس اللذين كانا عبارة عن مين ثانويه للمينا الكبرى وكان شكل المينا فى الزمن السابق هو تقريباً عين شكلها الآن وقال استرابون انها كانت عميقه جداً بقرب الساحل حتى ان المراكب على اختلاف عظمها كانت تقف بجانبها وفي ايامنا هذه قد نقص هذا العمق لتراكم الرمال التى تقذفها الامواج عليه منذ تغطى بالمياه جسر اكرولوشياس والصخور التى كانت تصد

هجمات الامواج عنه ومن مالت نفسه الى نزهة افكاره بالسير في البحر في يوم سماوه صاحية يرى بقايا ابنية في داخل الميناكانت مشيدة على جزائر صغيره طبيعية ومحدثه

وفي سنة ١٨٧٣ عثر المرحوم محمود باشا الفلكي تحت استواء البحر باربعة امتار بصخرة تكون مع جسر اكرولوشياس حوضاً صغيرا عند راس لوشياس وكان هذا الحوض يسمى بمينا الملوك وكذلك اكتشف على بقايا جزيرة صغيره بعيدة عن الساحل بقدر ٣٠٠ متر وموضعها غربي مينا الملوك على بعد ٤٠٠ متر منها وشكلها شكل حدوة الحصان وعليها بقايا مبان قديمه ويظن ان التيمونوم كان مشيدا عليهاوكان يتوصل منها الى البر بجسر في منتصف المسافة التي بين برج السلسلة وجسر السبع غلوات

وقال استرابون « ويوجد قبل مينا الملوك جزيرة صغيرة تسمى انتيرودوس كان مبنيا عليها بيت ملوكي » وقد اكتشف ايضاً المرحوم محمود باشا على بعد ٦٥٠ متراً تقريباً من مينا الملوك لسانا من الارض طوله ٢٠٠ متراً يليه بناء يبلغ طوله ٣٠٠ متر ذو اتجاه مواز للهبتستديون وقد سطا البحر على جزء من محيط المينا الكبري المسماة الآن بالمينا الجديده ابتداؤه موقع المناره فسكة حديد الرمل فراس لوشياس (السلسله) وتوجد على هذا الساحل آثار قديمه اغلبها مغمور بالمياه في جهات متعدده ويستخرج منها اعمدة جميلة تستعملها اغنياء الاسكندرية في بناء بيوتهم ويوجد ايضاً على تلك الشواطى ابنية من الاجر جدرانها الداخلة مطلية بالاسمنت وهيئة هذه المباني القديمه تحدو بنا الى الظن بأنها كانت صهاريج وحمامات خصوصيه كان يوجد فيها الماء المالح والماء العذب وتوجد على نفس هذا الشاطئ الذي صار في ايامنا هذه عمودي الشكل

تقريبا ابنية اخرى خلاف التى من الاجر غيران المصنوعة من هذا الاخير هي الغالبة وقد اكتشف بهذه الاماكن فى سنة ١٨٠٢ تمثالان من الرخام الابيض احدهما تمثال الامبراطور ماركوريل بجسامته الطبيعية والاخر تمثال سبتيموس سيفيروس وهو اكبر حجماً من الاول

وفى القرن السادس عشر من الميلاد سكنت الاتراك على الهبتستديون المهجور من ابتداء فتح المسلمين للاسكندرية وكان قد اتسع كثيرا بسبب تراكم الرمال على جانبيه وما زال يزداد اتساعا حتى وسع مدينة عظيمة ذات مباني عديدة خلفت مدينة البطالسه والرومانيين

✻ في قصورها القديمه ومبانيها العموميه ✻

✻ في الكلام على المسلات والقيصريوم ✻

كان يوجد فى سنة ١٨٧٨ على ساحل الميناء الشرقى بقرب محطة سكة حديد الرمل مسلة من الجرانيت الوردي تسميها العامة مسلة كيلوبتره ويبلغ ارتفاعها واحداً وعشرين متراً تقريباً وكان يوجد بقربها قبل ذلك بعدة سنين مسلة اخرى ملقاة على الارض وقد اخذ الانكليز احدى هاتين المسلتين ووضعوها على شاطىء نهر التميز واخذ الامريكيون الثانيه وكان اسم توتمس الثالث احد فراعنة مصر منقوشاً على الاولى واسم رمسيس الثانى على الثانيه وكل منهما يدل كما شهد بذلك بلين وبعض موءرخي الازمان القديمه على مكان القيصريوم اي هيكل قيصر

وذكر صاحب العطوفة علي باشا مبارك فى خططه ما ياتى

« وقال بلين ان ارتفاع كل من المسلتين ٤٢ ذراعا و بمقارنة اجزاء المسلة الى بعضها يرى ارتفاع الهرم الصغير قريباً من عرض القاعده وهذا العرض منحصر بين التسع والعشر للارتفاع الكلي وقد امتحنت جميع المباني التي من هذا القبيل فوجدت جميعها على هذه النسبة ومن هنا يظن انه كان للمصريين قواعد لا يخرجون عنها في تفصيل اجزاء مثل هذه المباني و باعتبار طول الذراع المصري ٤٦٣ ر٠ متراً يكون ارتفاع المسله الي اصل الهرم ٤٠ ذراعا والى اخره ٤٤ وفي زمن البطالسه كانت المسلتان قائمتين امام المعبد الذى كان بني باسكندريه زمن الملكة كيلوبتره باسم القيصر والد ابنها وقد عاينه استرابون حين ساح في بلاد مصر وذلك قبل الميلاد باربع وثمانين سنة فنسبتها حينئذ الى هذه الملكه لا شك فيها بخلاف خليج اسكندريه وما يسميه الناس بحمامات كيلوبتره فانهما لا ينسبان لها اصلا فان الخليج موجود قبلها والحمامات كانت مقابر لا غير »

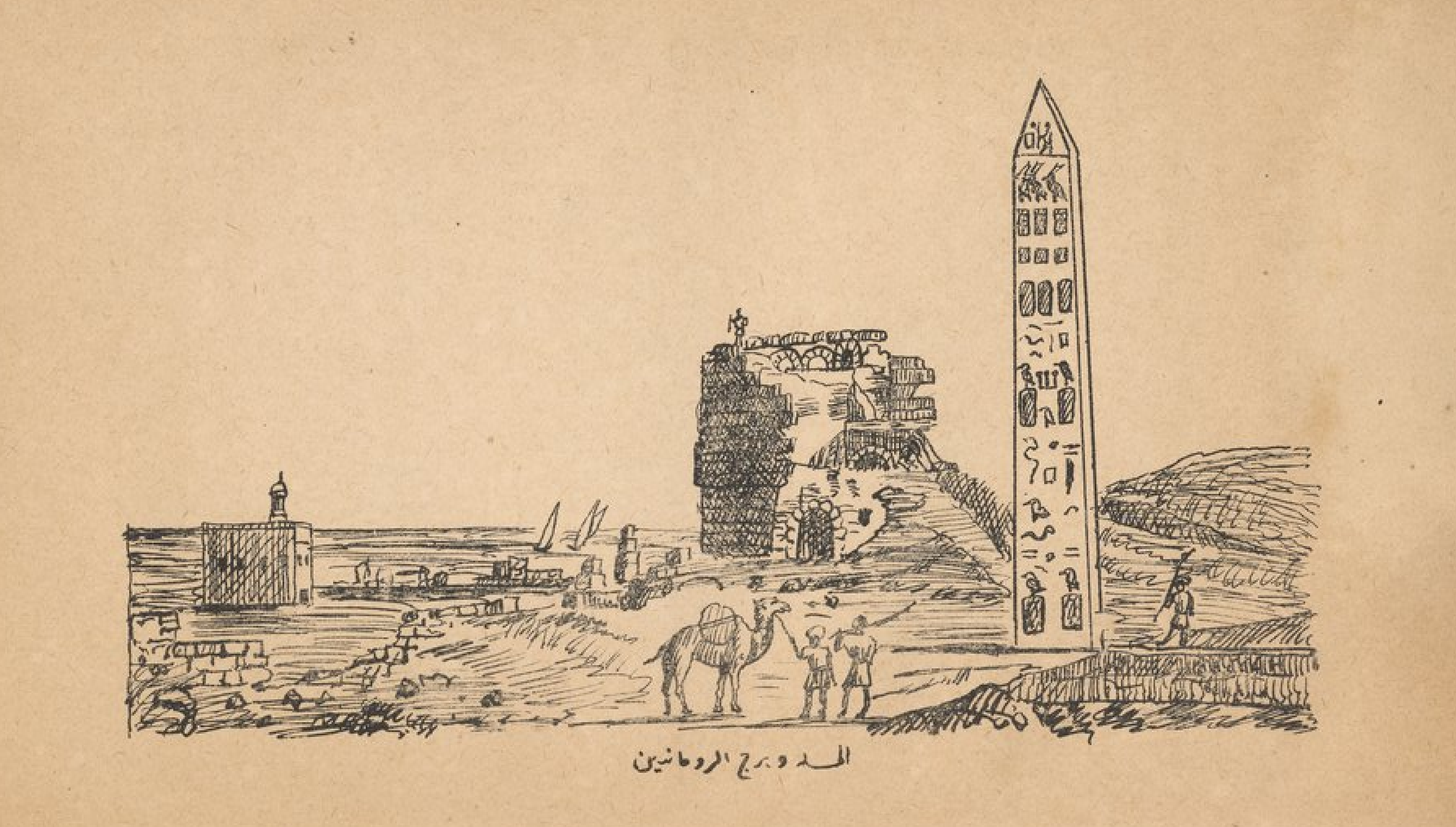
امـا القيصريوم المسمى ايضاً بالسيباستيوم فقد ذكرعنه فيلون الاسكندرى ما ياتي « لابنية في الدنيا باسرها تشبه الهيكل الذى شيدتذكاراً للمكان الذي نزل فيه قيصر اغسطس من البحر الي الاسكندريه وهـذا الهيكل الجسيم الاتساع الذي لا يوجد له مثيل في اقطار الارض بطولها والعرض كان قائماً تجاه المين التي لا تطرقها نكبات الدهر وهو مملوء من النقوش والرسوم والتماثيل الذهبية والفضية ومحاط بسور عظيم عريض فيه ابواب كثيرة ومكاتب عديده ومنازل للرجال واماكن متسعه وقاعات فسيحه وبالجملة جميع انواع المباني التي تدهش الابصار بحسن تنميقها وبديع نظامها وهو كعبة امل الذين يأتون الى هنا من البلاد الاجنبيه والذين يعودون اليه

من اسفارهم »

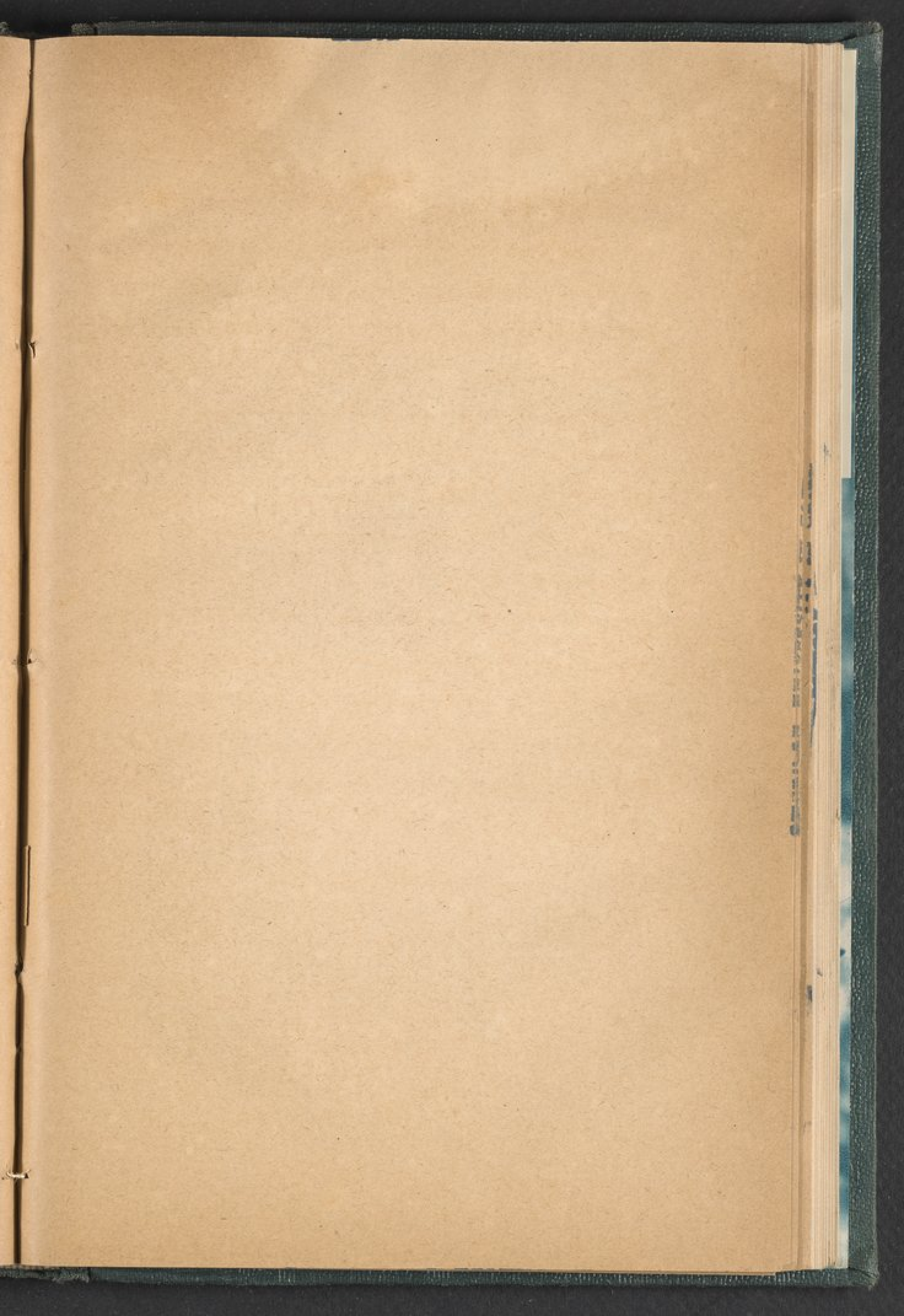
ومن الصعب فى هذه الايام تتبع بقايا القيصريوم على انه يرى الان على شاطيء البحر بقايا ابنية توجد بينها اعمدة وتيجان اعمدة من الرتبة الدوريكيه وفى سنة ١٨٧٥ عثر العالم العلامه نيروتسوس بك علي عمود رخام من بقايا الهيكل المتقدم الذكر مكتوب عليه باليونانية ما ياتي « من روساء العشر الموجودين باسطول الحرس الامبراطوري الروماني ٠ واجبات العبوديه للالهة القيصريين المذكورة فى هذا العمود . من قيصر لوسيوش فيروس اغسطس السنة السادسه »

ولم يتيسر للان تحديد وضع هيكل قيصر بطريقة قطعية غير انه من المظنون ان محور هذا البناء كان متجها من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي بين قاعدتى المسلتين بحيث يكون مدخل هذا الهيكل الى جهة البحر فترى المسلتان من مسافات بعيده وربما كان وضع المسلتين الى جهة البلد وهذا الوضع الاخير ملائم لمقتضيات الاحوال فكل اعتراض يقوم على هذا الفرض فهو لا محالة مدحوض وبما ان البحر قد سطا على الشاطىء وغطاه بالرمل فوجود المسلتين بقربه يظهر انه ناشيء من تقدم الجزء الموخر من الهيكل فى البحر للسبب المتقدم الذكر

وكان القيصريوم موجوداً فى ايام استرابون الذى عاش ٣٢ سنة من ايام حكم اغسطس ولا بد ان انطوان صاحب قيصر وكيلوبتره هوا الذى شيد القيصريوم او كان اوكتاف بن اخ هذا الدكتاتور هو الذي شيده ولما مات هذا الرجل الجليل المقدار اصدر السيناتو امراً بجعله من عداد الالهة المعبوده واتبعت هذه الشعائر مدة زمن مديد بالاسكندريه وعلى ذلك فتكون المسافه



المسلة وبرج الرومانين



الزمنيه الكائنة بين هذا الوقت وبين موت كل من انطوان وكيلوبتره ١٣ سنة على التقريب وهو الزمن الذي بنى فى خلاله القيصريوم وبعد ان مر على تأسيسه ثلاثة قرون قلب وضعه الى كنيسة مسيحيه سميت باسم الهيكل الاصلى وباسم سيباستيوم ولما اضطرمت نيران الفتن الداخليه بين الوثنيين والمسيحيين فى سنة ٣٦٢ من الميلاد حرقت عساكر الامبراطور بوليانوس هذه الكنيسة وازالت معالمها ثم شيدها الامبراطور فالنسي بعد ذلك بسنتين وجعلها مقرا لبطارقة الاسكندريه واستمر الحال على هذا المنوال الى ان استولت العرب على هذه المدينة فى سنة ٦٤٠ من الميلاد ثم هدم فى سنة ٩١٢ فى ايام الخليفة المقتدر بن المعتضد وقد وجد تحت اساس القيصريوم عدة قبور وجملة كتل من احجار كبيرة الحجم وهذ مما يثبت ان احجار الهيكل استعملت لبناء قبور النصارى والاستحكامات العربيه المعده لتحصين المدينة من جهة البحر وبعد ان حاصر الفرنساويون مدينة الاسكندرية في سنة ١٧٩٨ شيدوا على مرتفع من الارض كائن بالقرب من مسلات قيصريوم قلعة سموها قلعة كيلوبتره وعلى هذا فكان مرشح حروب بونابرته فى عين المكان الذي تحصن فيه من قبله بثمانية عشر قرناً الامبراطور قيصر حينما حوصر فى قسم السرايات الذى كان ممتداً الى تلك الجهة

هيكل نبتون والتيمونوم

اذا بارح الانسان جهة القصيريوم متبعاً الساحل شاخصاً الى رأس لوشياس يرى شبه جزيرة محتوية على ابنية خربة توجد عند نهايتها صخور عديدة وبقرب هذه الصخور على بعد عدة امتار منها خرابات اخري في البحر لم

تندثر الى يومنا هذا

واما البناء الكبير المربع المبنى بالاجر فيشاهد فيه قنوات عديدة وقباب متصلة ببعضها ومسامتة لافواه افران قد تحول ما فوقها من الاجر الي ما يشبه الزجاج اللامع وذلك بسبب تاثير النار عليه وليس هذا الامر عام على جميع الجدران بل قاصر على البعض منها انما يرى على اي حال تأثير النار عليها

ومما نشاهده من كيفية وضع هذا المكان وطريقة بنائه نحكم انه كان معداً للاستحمام بالمياه الحارة وما قاله الشهير استرابون فى هذه الجهة يعلم ان هيكل نبتون كان مشيداً عليها فانه قال « ويرى البوزيدوم بعد القيصريوم مباشرة والبوزيدوم هذا عبارة عن القطعة البارزة من الساحل الى داخل البحر من المكان المسمى امبوريوم وقد بنى فى هذا المكان هيكل بوزيدون اي نبتون » وما كان على الشاطئ مكان اليق لتشييد هيكل لنبتون مثل هذا المكان ولذا سمى بالبوزيدوم وهي تسمية مستنبطة من احد القاب هذا الاله على انه لا يوجد على سواحل المينا الكبرى بقايا تدل بكثرتها على بناء ذى اهمية مماثلة لاهمية هيكل متوسط فضلاً عن هيكل نبتون المشهور بعظم الاتساع فلذا نرى ان البوزيدوم كان ولا شك مشيداً على الرأس المصطنعة التى كانت موجودة بتلك الجهات فى ذلك العهد ثم سطا عليها البحر بعد ذلك

واما وجود مبانى لها علاقة بالحمامات فلا ينافى ابداً ذلك اذ لا شي يمنع من وجود حمامات حول هيكل نبتون خصوصاً وان هذه الحمامات كانت لم تشغل الا الجزء الاسفل من تلك الآثار ولا داعي هناك للاندهاش والتعجب من هذا الفرض والتخمين فان العادة في الازمان السالفة قضت ان الحمامات لا توجد فقط حول السرايات بل ايضاً حول المبانى الدينية ومن هنا لا نندهش من

وجود حمامات فى المكان الذي نحن بصدده .

ويرى قبل و بعد بقايا البوزيدوم اثار جسر كان داخلاً فى المينا وهو مركب من كتل كبيرة من الاحجار عرض الحجر منها متر واحد وطوله ثلاثة وهي موضوعة فوق بعضها طبقات ارتفاع الطبقة منها متر واحد ويرى على الجزء الشرقي ايضاً عدد من احجار منحوتة و بقايا افريز يظهر ان الجزء الاعلي منه قد تهدم واستعمل ما استخرج منه فى تشييد بعض ابنيتنا الجديدة

اما التيمونوم فكان مشيداً في وسط المياه على نهاية امتداد طرف البوزيدوم وهو عبارة عن سراية منفردة شيدها الامبراطور انطوان بعد انهزامه فى واقعة كتيوم وذلك انه لما هجرته خلانه وجفته اعوانه اقبل على الاسكندرية وصمم ان يعيش فيها منفرداً عن هؤلاء الناس وقال استرابون مبيناً وضع التيمونوم « وقد بنى انطوان على نهاية البوزيدوم الذي كان هيكل نبتون مشيداً عليه جسراً طويلاً انتهى الى وسط المينا ثم شيد على نهايته هذه بيتا ملوكيا سماه بالتيمونوم » وقال العالم الفاضل سنجنتيس الفرنساوي ان التيمونوم كان موجوداً على نهاية جسر طويل متصل بقطعة بارزة من الساحل توجد قبل البوزيدوم مباشرة وليست متصلة بهذا الهيكل كما ادعاه البعض اما مبداء جسر التيمونوم فكان عبارة عن الشبه جزيرة الصغيرة المغطاة فى ايامنا هذه بالمياه وهى التى توجد امام الانسان اذا غادر مكان القيصريوم والآثار البنائية الموجودة الآن هناك كانت متعلقة اذ ذاك بهذا الجسر

اللوشياس وسراياته

يظهر ان النهاية الحالية لراس لوشياس قد تغيرت كلياً ولو ان مادتها

المصنوعة منها صلبة قوية والسبب فى ذلك هو ان رصيف آكر ولوشياس والصخور التى تليه كانت لها بمثابة حصن منيع مدة طويلة من الزمن فلما ان سطا البحر على هذا الرصيف وما جاوره من الصخور تغيرت الصورة الاصلية للساحل .

وكانت اراضى لوشياس المثلثية الشكل مزينة بالبساتين النضرة والسرايات المشيدة المتقنه وكانت بالنسبة لحسن موقعها واعتدال هوائها تتهافت ملوك اليونان ووكلاء الرومان ببر مصر على سكناها ثم اخذ الامراء وكبار الموظفين من معية الملك وبطانته يشيدون القصور المفتخرة بجانب سرايات ملوكهم حتى صارت هذه الجهة مقرًا لامراء الاسكندرية واغنيائها

وبعد ان تحلت هذه الجهات بتلك المزايا العظمى والاختصاصات الكبيرة واستمرت على هذا الزمن المديد اصبحت الآن وقد عضها الدهر بنابه قفرًا بلقعًا خاوية على عروشها مجردة عن كل مايزينها او يدعو النظر الى رؤيتها وصارت معرضة للامواج تسطو عليها وتلتهم اراضيها حتي لقد ظلت الآن بمثابة جسم نزع ما فيه من اللحم ولم يبق به الا الهيكل اي العظام فقط فانظر رعاك الله الى هذا الفرق الواضح والبون الشاسع فانها في الازمان الخالية كانت ذات منظر بهيج وكانت مقرًا للملوك والامراء ومربعًا للاغنياء والوزراء هذا خلاف ما احتوت من الاثار التي لا يندثر ذكرها مدى الدهور والاعصار كهيكل نبتون والتيمونوم والقيصريوم ومسلاته الخ

والان لم يبق من هذه العجائب كلها الا اراض قاحلة لايخترقها غدير من الماء العذب وتذكرنا البقايا المنتشرة بتلك الجهات ما كانت عليه تلك البلدة الزاهرة من البها والبهجة والسناء وتبين الفرق العظيم الذين بينها وبين المدينة الجديدة التى ليس لها في مجاراة الاولى ادنى نصيب ولا يخفى على النـــاقد

البصير ان شمس العلوم قد افلت واحتجبت عن افق البلاد المصرية وعن الاسكندرية بالاخص لان اهلها لما ارادوا ان يبرهنوا على جهالتهم اشتغلوا ببيع ما يقع بايديهم من الآثار القديمة واستخراج ما بباطن البحر من الاعمدة الثمينة ليضعونها فى زوايا بيوتهم او فى مداخلها ولم يعلقوا بحفظها ادنى اهمية ولكن يتعين علينا ان نحمد الله ونشكره على ما اودعه فى هؤلاء الناس من الاحساسات الكريمة التى لولاها لدفعهم الجهل والطيش على استعمالها استعمالاً يكون سبباً فى تلفها

ولقد وجد بعضهم فى جهات كرموش تابوتاً مصنوعاً من حجر السيينيت وهو مجعول بصفة حوض تشرب منه خيول اسطبل بجانبه ووجد ايضاً تابوتاً اخر من الرخام الابيض وهو مزين بنقوش لطيفة كالاغصان وقد استعملته الكافة سبيلا تشرب منه السابلة وهو يوجد على باب احدى القهاوي

الموزيوم (المتحف)

قال استرابون « من متعلقات السرايات الملوكية الموزيوم وندوته الواسعة التي كانت تجتمع فيها للغداء اعضاء المجمع العلمى المسمى بمدرسة سكندرية ومن المعلوم ان علماء هذه المدرسة كانوا يعيشون من الارزاق التى تصرف اليهم من الخزينة العمومية على يد كاهن ينتدبه الملك لذلك اما فى ايامنا هذه فالقيصر هو الذي ينتدب ذلك الكاهن »

وعليه فكان الموزيوم المتقدم الذكر عبارة عن مجتمع على اسمه بطليموس سوطر وهو المشهور باسم مدرسة الاسكندرية وكان رئيس هذه المدرسة

يعينة الملك واما بطليموس المتقدم الذكر فكان رجلاً مهذباً عالماً يحب معاشرة العلماء والامتزاج بهم فخصص لسكناهم جزءاً من سراياته يظهر من تسميته اياه بالموزيوم انه كرسه للالهات المسماة (موز) (١) هذا وقد ورثت مدرسة الاسكندرية شهرة واهمية مدرسة هليوبوليتس اي عين شمس التي كانت مصدر العلوم والمعارف قبلا ولم يكتف علماء مدرسة الاسكندرية بحفظ علوم المتقدمين فقط بل شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد لحل طلاسمها وعمل الاكتشافات العلمية المهمة وهم الذين جمعوا اشعار شاعر القدم هوميرس المشهور ولمواشعث الكتب الفلكية والشعرية التى كانت مكتوبة على ورق البردى ولا تزال محفوظة لايامنا هذه فى متاحف باريس وقد اندفعت همم طلاب هذه المدرسة الى اتقان علم الفلك والرياضيات والتاريخ الطبيعي والطب والنحو والشعر والتاريخ والفلسفة وممن يشار اليهم بالبنان فى هذه العلوم دمتريوس دوفالير واريستارك فى النحو وهيروفيل وايرازستراث في الطب وتيمارك وارستيد وهيبارقه وبطليموس وكانون فى الهيئة واقليدس

---

(١) هن من ولد المشترى ومنيموزين وكن الهات الفنون الادبية وبالاخص الفصاحة والشعر وكانت تجمعهن وحدة الاخاء للدلالة على ارتباط الفنون بعضها وكن تسعة الاولى كيلو وكانت الهة التاريخ والثانية اوترب الهة الموسيقى والثالثة طاليا الهة الروايات المضحكة والرابعة ملبومين الهة الروايات المبكية والخامسة تربسيكور الهة الرقص والسادسة اراتو الهة الرثا والسابعة بولمنيا الهة الشعر الغنائى والثامنه اورانيا الهة علم الفلك والتاسعه كليوب الهة الفصاحه والشعر الحماسي

وابوللونيوس وديوفانت فى الهندسة واراتوستين واسترابون فى تخطيط البلدان وسنيزيديم وشكستوش وبوتامون وامونيوش ساكاس فى الفلسفة وممن نبغ بالمدرسة الاسرائيلية ارسطبولس وفيلون وبالمدرسة المسيحية سان بنتان وسان كليمان وقد آلت هذه المدارس فيما بعد الى حيث تؤول اليه المؤسسات الدالة على درجة تمدن الامم فان نور مجدها كان شديد السناء مدة استكمال تمدن ملوك اليونان الذين استولوا على بر مصر ثم انطفاء هذا النور فى عهد غيرهم وكان انحطاطها حينئذ مقرونا بانحطاطهم وفى الواقع فان البطالسة الثلاثة الاول وجهوا عنايتهم وصرفوا التفاتهم الى هذه المدرسة الجامعة فارتفعت الى اوج التقدم وطار صيتها وبعد صوتها فى الافاق ثم لما القيت ازمة الاحكام الى من بعدهم من الملوك سأحظها وسقطت من شاهق مجدها فما كان اشبهها بزهرة تفتحت اكامها حين تبلج الصبح وتنفس ثم اخذت تزداد رونقا وبهاء حتى اذا ما هجم الليل بجيوشه ذوت فوقعت على الارض ووطأتها اقدام العابرين

هذا وكان السبب فى سقوط هذه المدرسة من اوج رفعتها هو انه لما فشت الفتن وعمت الاحن وتكدر صفو السلام وتراكمت سحب الاختلال والاضطراب تشتت شمل هوءلاء العلماء فانتشروا يبثون معلوماتهم فى اهالى رودس واليونان وسوريا وقد سقط نجم مدرسة الاسكندرية بالكلية وافلت شمسها بانقراض دولة البطالسة غير ان شهرتها استمرت قائمة على قدم الوجود بعد ذلك بقرن واحد كانت لاتزال فيه مهد العلوم والفنون

دار الكتب

اما دار الكتب الشهيرة فكانت موضوعه فى الموزيوم بالجزء المطل على

المينا وذهب بعضهم الى ان موسسها هو بطليموس سوطر فى القرن الرابع قبل الميلاد وذهب البعض الاخر الى ان مؤسسها انما هو ابنه فيلادلف (٢٨٣ ٢٤٧) وعلى اى حالة فان الذي جمع الكتب فى الحقيقه هو الكاتب المنشىء دمتريوس دوفالير الذى اتى فى سنة ٢٩٠ ق م الى بلاط الملك سوطر ملتمسًا حماه فقابله سوطر بالاكرام الزائد وافاض عليه خيره فلما راى دمتريوس منه فوق ما امل عاونه على جمع مجموعة من الكتب كان صمم على الاستحواذ عليها من قبل مجيئه ومع بذل الاجتها دبلغ عدد ما جمع ٢٠٠٠٠٠ مجلد ولما كانت ايام فيلادلف اضيف على هذا العدد جميع كتب ارسطاطاليس التي حفظها تيوفرست زمنًا طويلاً ثم اعطاها نيلة ابنه الى ملك مصر على سبيل التنازل وكانت هذه المجموعة عظيمة جدًا وكانت تحتوي على ما تيسر لهذا الفيلسوف جمعه من كتب الفلسفة والعلوم والفنون وقد اختلف القدما فى عدد المجلدات التى كانت موجودة بدار كتب الاسكندرية فمن قائل انها كانت تبلغ ٥٠٠٠٠٠ ومن قائل انها ٧٠٠٠٠٠ ومن قائل غير ذلك غير انه لا يجمل بناء ان نغتر بزيادة هذا العدد لان اغلب المصنفات الكبيره كانت مركبة من اجزاء صغيره والذي حملهم على تقسيمها انما هو سرعة عطب ورق البردى وصعوبة مسك المصنف الكبير باليد والقرأة فيه فمثلا مصنفات مارسيال التى كانت ذات ابواب عديدة قسمت الى مجلدات بقدر عدد هذه الابواب وكذلك قصائد الشاعر هوراس وبناء على ما ابديناه كانت دار كتب الاسكندريه اصغر بكثير من دور الكتب المتوسطة فى عصرنا هذا وائن كانت صغيرة بالنسبة لعدد المجلدات فهي كبيرة لنفاسة ما احتوت عليه من العلوم التي كانت غير منتشرة كل الانتشار في ذلك العهد وكانت دار كتب الاسكندريه موضوعه في جزء

من المتحف والمتحف هذا كان عبارة عن بناء متسع به دار للكتب وقاعات الدراسة ومحلات لحفظ الآلات وبساتين نباتية وجنائن للحيوانات النادرة الوجود ومساكن للعلماء الذين تصرف لهم الارزاق والمرتبات من طرف ملوك مصر اما باقى المجموعات المختصة بالعلوم فكانت محفوظة فى البروشيون او البروخيوم و فى السرابيوم وقد اختلف الرواة فى سبب اندثار دار الكتب انما الذى اجتمعت الاراء عليه فى ايامنا هذه هوان الكتب التى كانت محفوظة فى البروخيوم تلفت بسبب الحريق الذى حصل فى دونمة قيصر حينما ثار اهل الاسكندرية ولكن هذا الخلل اصلح فيما بعد بكتب برغام التى اهداها الامبراطور مارك انطوان الى كيلوبتره ووضعت برعاية هذه الملكة فى السرابيوم وزعم البعض انه لما صارت كتب الاسكندريه الى هذا الحال دمرها عمرو فى القرن السابع من الميلاد وهو زعم اتفق مؤرخو عصرنا على بطلانه وعدم صحته والحقيقه هى ان الكتب التى حفظت فى السرابيوم دمرها النصاري فى القرن الرابع اما الاخرى فهجرت الي سنة ٨٦٨ من الميلاد واذ ذاك اتلفها الاتراك لما احتلوا مدينة الاسكندرية وفى الموسوعات العظمى الفرنساويه فى لفظه عمرو ما يأتى « وكان عمرو بن العاص شهماً كريماً حميد الاخلاق متحلياً برداء التمدن ولذا يبعد عن الظن انه هوالذي احرق دار كتب الاسكندرية التى كان قد دمرها النصارى من قبله بزمن مديد »

وفى الخطط الجديدة لمصر ما ياتى « ان احراق السرايبوم كان بامر البطريق تيوفيل بعد توقف كثير من العلما والاهالى ثم بنى محل السرابيوم كنيسة سميت اركاديوم من اسم القيصر اركاديوس المتولى تخت القيصرية بعد القيصر تيودوز الاكبر وجعل فيها دار كتب جمع فيها ما ابقته النار وشيئاً كثيراً

من كتب النصرانيه وهى التى تنسب احراقها الي عمرو بن العاص لكن لم يعلم وجه انتساب ذلك اليه فان هذه الحادثة لم يتكلم عليها احد من المورخين فى عصره من النصارى وغيرهم ولم يظهر ذلك الا في القرن الثالث عشر من الميلاد من كتابة تنسب الى ابى الفرج بطريق مدينة حلب مع انه لم يذكرها فى تاريخه العام»

«ولم يجد بولص اوروز شيئًا من الكتبخانة حين مروره باسكندريه سنة ٤١٤ من الميلاد يعني قبل دخول عمرو بلاد مصر بمائة وثلاثين سنه فالظاهر ان القول باحراق كتبخانة اسكندريه كان بامر سيدنا عمر ومحض افتراء اختلقته قسوس النصارى فانه قد حصل احراقها مرارًا قبل دخول الاسلام والكتب القديمة الموروثه عن الاعصر الخالية قد محتها ايدى النصارى»

السرابيوم

السرابيوم او هيكل الآله المصرى سرابيس كان مشيدًا فى الجنوب الغربي من مدينة الاسكندرية على التل الذى يرى عليه لحد الآن عمود السوارى وقال استرابون «ان هيكل السرابيوم والاماكن الاخرى المقدسة توجد بجانب الترعة وقد هجرت هذه الاماكن من عهد بناء هياكل نيكوبوليس حيث يوجد كل من الامفتياتر (الملعب المدرج) والاستادة التى تعقد فيها الالعاب الغريبة كل خمس سنين مرة »

وكان للآله سرابيس بمصر اذ ذاك عدة هياكل اقدمها هو الذي كان بمدينة ممفيس وقال بوزنياس ان اكبرها هو هيكل السرابيوم وان الذي

شيده هو بطليموس سوطر على مكان معبد صغير كان معدًا لعبادة ايزيس واوزيريس الالهين الاخذين فى حماها سكان قرية رقودة القديمة

ومن هنا يثبت الثبوب التام ان ملوك اليونان كانوا متدينين بديانة قدماء المصريين وقال اميان مرسلان « يوجد بمدينة الاسكندريه جملة هياكل تدهش النظر بفرط اتساعها وزيادة ارتفاعها ومع كل ذلك فكان هيكل السرابيوم اكبرها ارتفاعًا واتساعًا ولا يمكن للقلم ان يقوم بوصف ما بهذه البنية الجسيمه من غرائب الصناعة وعجائب الفنون فانى قد رايت ان ابواب هذا الهيكل كبيرة جدًا ومنمقه بالاعمدة والتماثيل المنزهة عن النظير والمثيل التى تخالها تنطق مع انها صامته ساكته وتتوهمها تتحرك وهي جامدة ثابته الى غير ذلك من الغرائب التى باستلفات نظرى اليها واستجذاب عقلى لها جعلتنى احكم بان ليس فى الدنيا باسرها بنية تشبه هيكل السرابيوم وهيكل الكابتول بروما » وقال رفان الذى كان قاطنًا بالاسكندرية فى القرن الرابع من الميلاد « ان تل السرابيوم لم يكن تلا طبيعيًا بل مصطنعًا ويظهر للمتفرج ان الهيكل المشيد عليه معلقًا في الهوا غير ثابت على قاعدة ولا يمكن الوصول اليه الا بعد قطع مائة درجة من السلالم والجزء الاسفل منه تسامته القباب العظيمة وهو منقسم الى مماش طويلة وقاعات مربعة للاحتفال فيها بالاسرار المقدسه اما الجزء العلوى منه فكان مخصصًا للعبادة ولمبيت الكهنه اما داخل المذبح فكان من الاتقان وزيادة التنميق بمكان لا يمكن معه القيام بوصف ما به من الزينه والنقوش العجيبه » وكان بالسرابيوم دار للكتب تحتوى على كتب نفيسة ولكنها لم تكن مثل دار كتب الموزيوم ولذا سميت بدار الكتب الصغرى ويظهر انها كانت مجعولة فى القاعات الواسعة المتعلقه بالهيكل وكان بها ما ينيف على

٥٠٠٠٠٠ مجلد من ضمنها ٢٠٠٠٠٠ مجلد اخذها انطوان من دار كتب برغام واهداها الى كيلو بتره ولما احرقت دار كتب الموزيوم ازدادت اهمية السرابيوم زيادة عظيمة حيث نقلت اليها مدرسة الاسكندريه و بقت فيها مشيدة الاركان قوية الدعائم الى اخر القرن الرابع من الميلاد وقال امبير وكان السرابيوم عبارة عن كعبة الديانه المصريه ومحط رحال طلاب العلوم الفلسفيه

وقد نسب بعض المؤرخين احراق دار كتب السرابيوم الى عمرو بن العاص وذلك انه لما فتح الاسكندريه كان بهذه المدينة عالم من علماء المذهب اليعقوبي يسمى يوحنا النحوى تعرف به عمرو واحبه فانتهز يوحنا فرصة هذا الحب والالتفات وطلب منه ان يعطيه كتب الفلاسفة التى بدار الكتب فمال عمرو الى تنفيذ ماربه ثم خشى ان لا ياذن له امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضه فحرر له خطاباً يخبره فيه بطلب القسيس فكتب اليه امير المؤمنين ان كانت تحتوى على ما فى القرآن فليس لنا حاجة بها والا فلا فائدة لنا فيها وعلى كلا الحالين ينبغي حرقها (١) وقال ابو الفدا ان هذه الكتب استعملت لحريق حمامات الاسكندريه مدة اشهر متوالية وهو امر من المبالغة بمكان عظيم فضلاً على ان التصديق به يحتاج الى الاستثبات وزيادة

---

(١) ويظهر ان هذه الرسالة لم ترسل الى عمرو بن العاص بل ارسلت الى سعد بن ابي وقاص وذلك انه لما فتحت ارض فارس ووجدت فيها كتب كثيرة كتب هذا القائد الى عمرو بن الخطاب يستأذن فى شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمرو رضى الله عنه ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها فى الماء او فى النار

النووي ومن بحث يجد ان ابا الفدا كان موجوداً في اواخر القرن الثالث عشر من الميلاد اى بعد تاريخ الحوادث التى تصدي لذكرها بستة قرون ثم انه هو المؤلف الوحيد الذي تكلم فى هذا الصدد اى ان عمر احرق دار الكتب وجميع الذين نقلوا هذه الحادثه من المورخين لم يبدوا فيها ما عن لهم من الاراء والتمحيص بل نسبوها برمتها اليه وخصوصاً الاوروبيون منهم فانهم بما فى طباعهم من التعصب وفى افئدتهم من التشيع زادوا هذه العبارة تهويلا ونسبوا للعرب التوحش والجهل واطلقوا لفظه (عمر) علماً على الجاهل الى ان حصحص الحق وتبلج نوره فانقلبوا الآن ينسبون الى انفسهم هذه العملة الشنيعه حيث اعترفوا الآن ان تيوفيل بطريق الاسكندريه (٣٨٩) هو الذى دمر السرابيوم وبيان ذلك هو ان بعضاً من الفلاسفة والنحويين والشعراء التجاوا الى هذا الهيكل فراراً من بطش النصارى الذين كانوا يركضون وراءهم فظنوا انهم فى موئل من انتقام اعدائهم منهم غير انهم انجبروا على الذب عن ساحة دينهم ودار ملتهم ولكن لم يجد اجتهادهم في المدافعة نفعاً اذ ان النصارى ورد اليهم منشور يامرهم بتخريب جميع الهياكل الوثنية فقصدوا السرابيوم ودخلوا منه وكسروا مذابح آلهة المصريين بعد ان اخرجوا من كان فيه من الكهنه والعلماء ولما تم لهم الاستيلاء عليه حولوه الى كنيسة سموها الاركاديوم او كنيسة اركاديوس خليفة الامبراطور طيودوز الاكبر اما تمثال سرابيس الجسيم فقد سلبوا ما كان عليه من الحلى والزينة ثم هشموا وجهه ورموا اجزاءه فى الطرق التى بجوار الهيكل واثر ذلك تلقى بطارقة الاسكندرية امراً من طيودوز يخول لهم حرية اضطهاد كل ما كان غير متعلق بالديانة النصرانية فلما

قرأوا هذا الامر وفهموا مغزاه قست قلوبهم وغلظت اكبادهم فنفذوه بلا توان ولا امهال وكان ما اظهروه من القساوة والاعمال الوحشية دليلاً علي تجردهم من عواطف الشفقه واميال المرحمة لسعيهم وراء صالحهم الخاص ومنفعتهم الشخصية ولما وطدوا اركان ديانتهم اخذوا يضطهدون الناس ويعتدون عليهم لا يوزعهم عن ذلك وازع او يلويهم عنه قول ناصح ومن الفظائع الكبيره والنوائب المجاحة التى اتى بها نصراء الديانه المسيحيه بالاسكندرية (وهى انموذج لما ارتكبوه منها) انهم سبوا هيبا طيا بنت العالم الرياضى المشهور طيون سباعاينا وثلو اشرفها وساموها خطة خسف وكيفية ذلك ان المسمى بطرس خطفها من عربتها وساقها امامه الى كنيسة القيصر يوم تصحبه شرذمة من سفلة القوم وهمجهم فلما وصلوا الى هذا المعبد جردوها من ثيابها وقطعوها اربًا اربًا ثم توزعوا اعضاء جسمها التى كانت تضطرب بايديهم لبقاء اثار الحياة فيها وانطلقوا يحرقونها فى المحل العمومى المسمى سينارون وقد حصلت هذه الفعلة الشنيعة امام القديس سيريل اسقف الاسكندرية وابن اخ تيوفيل المتقدم الذكر وكانت هيباطيا ذات حسن متألق ونضارة رائقة وطلعة لا تمل وكانت هذه الاوصاف الطبيعية ليست شيئًا بجانب اوصافها الادبية فانها كانت ذات قريحة وقادة وبصيرة نقاده لها مشاركة كلية فى الفلك والفلسفة وانتهت اليها اكثر الفنون ولذلك لقبت بالفيلسوفة وكانت تدرس للجمهور مذهبى ارسطاطاليس وافلاطون

وكان لهذا العهد لم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة الانوار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية بمنشور طيودوز المتقدم (٣٨٩) فعفى نصراؤها معالم الحكمة وسبلها وازالوا رسمها وطمسوا ما

كانت اباته القدماء واوضحته الحكماء ولم يكتفوا بذلك فقط بل غيروا وضع الابنية وقلبوا شكلها لتكون صالحة لشيء يلائم الدين الجديد ولما اتلفوا داركتب السرابيوم انجبروا على تاسيس دار اخرى للكتب امتزجت فيها الفلسفة النصرانية بما بقي من فلسفة الوثنيين بارشاد البطاركة وتحت ملاحظتهم فاذا تحقق ان عمرو بن العاص هو الذى حرق كتبخانة بالاسكندريه فانما يكون حرق هذه الكتبخانه وليس كتبخانة السرابيوم كما ادعى البعض على ان من يراجع ما كتبناه فى ذلك الموضوع بالفصل المتقدم ينفي عنه هذه التهمة بالكلية

وقد دلت عمليات الحفر التى اجريت سنة ١٨٧٢ بادارة ومعرفة المرحوم محمود باشا الفلكي ان السرابيوم كان مشيدًا على الاكمة الصغيرة التي يوجد عليها الان عمود السوارى وقد وجد تحت التراب جملة من التماثيل الحيوانيه وصور طيور مصنوعة من حجر الجرانيت وعظام ثور واعمدة كثيرة مكسرة وتيجان اعمدة وابدانها واثنى عشر حائطًا سمك الحائط الواحد منها متران. وقال العالم المتقدم الذكر « ان من مشاهدة هذه الحيطان وفرط سمكها يعلم الانسان اتساع البناء الذى كانت اساسًا له فان طول احد اضلاع هذا البناء بلغ ١٨٠ مترًا وفى وسطه عمود السواري » ومن هنا يتحقق لنا ان هذه الجدران هي من اثار السرابيوم يؤيد ذلك انطباقها على اقوال جملة من قدماء المورخين فان منهم من قال « وهو كائن على مرتفع من الارض فى داخل البلد وعلى الشاطىء الايمن من الترعه بقرب القنطرة الثانية الموجودة تحت الارض »

ثم ان من اختبر التل يجد ان ارتفاعه يبلغ فوق استواء الطرق القديمة المجاورة له من ١٨ الى ١٩ متر وهو مقابل بالضبط الى المائة درجة التى ذكرها رفان و بواسطتها كان يصل الانسان الى باب الهيكل

واليك مؤدى ما قاله عبدالله بن خالد الملقب بالشامي الذي كان عائشا فى القرن الثامن من الميلاد عند كلامه على السرابيوم « ان عمود تل السرابي كان فى وسط ماية عمود اخر تحمل رواق الحكمة وكان هذا الرواق يحتوى على كتب قديمة ونفيسه جداً مكتوبة بحروف لا يحل رموزها الا العلماء والمنجمون وقد دمر النصارى هذه الكتب خوفاً من ان يتوصل سحرة الوثنيين بواسطتها الى الاضرار بهم ولاجل ان يتاءكدوا من عدم بقاء كتاب من هذه الكتب فقد هدموا الذى كان يحتوي عليها وجعلوا اعاليه سافله على ان الدهر لم يتجاوز عن ذنبهم بل جازاهم بمثل ما فعلوا فساق اليهم عمرو بن العاص فاحرق خزانة الكتب التى اسسوها برسمهم »

وفى المرتفع الرملي الذى يوجد بين كرموس وميناء البصل خلف مكان السرابيوم عدد عظيم من الآبار والمسارب وجملة قاعات مظلمة تحت الارض تتصل ببعضها البعض من جميع جهاتها وهذه المبانى عبارة عن كهوف النصارى اما الكهوف المحفورة من جهة الغرب فقد تخربت لضرورة استخراج الاحجار اللازمة للبناء منها ولم يبق الآن من هذه الكهوف الا محلاً صغيراً كان معداً للصلاة على الاموات اكتشفه العالم نيروتسوس بك سنة ١٨٥٨ وقد كانت اعتنت بها الحكومة فى بادئ الامر ثم تركتها تحت رحمى التلف والاندثار واما قطع الفخار التى توجد منتشرة على سطح المرتفع المتقدم الذكر فليس بها من النقوش ما يستدل منه على اصلها ولكن ما يجده الانسان احيانا فى تلك الجهات من المصابيح الصغيرة المصنوعة من الفخار يرى عليه رسم الصليب المنحنى المختص بالمذهب المصرى و يوجد بدلاً من القنينات الضيقة المستطيلة المصنوعة من الطين المستوى او من الزجاج لاحتوا المواد العطرية المخصصة لدهن جثث الاموات توجد مسائب مستديرة او مسطحة كانت مستعملة

لدهن جثث الاموات توجد مسائب مستديره او مسطحه كانت مستعملة عندهم لحفظ الزيت المبارك الذي كان يؤتي به من قنديل قبر القديس مناس بقرب بحيرة مريوط وكانوا يدهنون به الاحياء زاعمين ان به سر خفى يشفى كل داء عقام وكانوا يدهنون به الاموات ايضاً لسلامة ارواحهم وقد عثر بعضهم على جملة وسامات تتعلق بالازمنة الاخيرة من حكم قسطنطين الاكبر فى احد جهتيها صورته وهى غير واضحة كل الوضوح وفى الجهة الاخرى صورته بنفسه راكبا على حصان راكض وهو يشير بيده الى يد اخرى سماوية متدلية له من وسط السحاب كانها تدعوه الى السماء وبناء على ذلك فجميع هذه الاثار تدل على انها متعلقة بالديانة النصرانية ومن مصنوعاتها بخلاف القبور فانها لا تختلف فى شيء عن باقى القبور الوثنيه وكانت قبور النصارى باسكندريه كقبور غيرهم من المصريين واليهود واليونان الرومانيين مصنوعة على حسب مقتضيات القانون المذهبى المصرى القديم والشرائع اليونانيه التى كانت تحكم البلاد فى ذلك الحين وهذه القبور أذا قال التاريخ بان حرمتها انتهكت فى وقت من الاوقات فذلك انما هو لان النصارى كانوا يستعملونها كمحل لاجتماعاتهم السريه حينما كان الجمهور يتهمهم بانهم عاملون على معاكسة الحكومة واخفاق مساعيها واحباط مشروعاتها وكانت اهالى الاموات واقاربهم واصحابهم وبعض من القسوس يجتمعون فى ايام معينة لعمل الصلاة على ارواحهم بشرط ان لا يطلع احد على ما يجرونه واستمرت هذه المصلاة محلا لاجراء الواجبات الدينية ليس الا وكان النصارى يلتجئون اليها عند وقوع الاخطار والاهوال بالمدينة وقد فعل مثل ذلك القديس اطناز فانه اختفى في قبور عائلته اربعة شهور تخلصا من مظالم خصمه

رئيس بطارقة القسطنطينية وذلك فى عهد كل من فلنسيان وفالنس سنة ٣٦٧ ميلاديه

عمود السواري

ان اول اثر تتمتع بمشاهدته عين الانسان اذا دنا من الاسكندرية هو عمود دقلطيانوش المشهور بعمود بومبيوس وهو الذى نسبت الكافة انشاءه اليه بدون اعتماد على سبب سوى تذكار موت هذا الامبراطور الرومانى الشهير ببلاد مصر وهو منعزل على قمة تل السرابيوم اشبه شىء بشاهد قبر فهو يذكرنا بما وراءه التراب حوله من بقايا المبانى القديمة والمآثر الفخيمة وهو مركب من اربع قطع من حجر الصوان التاج والبدن والجلسة والقاعده ويبلغ ارتفاع الكل ٢٨ مترًا و ٧٥ سنتيمترًا للتاج منها ثلاثة امتار وواحد وعشرون سنتيمترًا والبدن ٢٠ مترًا ونصف وطول اعظم قطرفيه ٢٫٦٨٤ وعلى حسب الوزن النوعى للصوان يكون وزن البدن وحده ٢٨٩٨٦٩ كيلوجرام ووزن العمود كله ٥٥٠٤٩٢ كيلوجرام

واذا شوهد من مسافة بعيدة ترى العين منه منظرًا بديعًا وهيكلاً أنيقا يسر النظر ويذهل اللب لدقة قوامه واتقان صناعته

ولما كان هذا العمود من عداد الاثار المستحقة الذكر يجمل بنا ان نقول انه يفوق جميع الاعمدة والمسلات التى من نوعه لما فيه من المزايا التى خص بها من غرابة الصنعة وحسن الذوق وزيادة التنميق حتى قلدته جميع الامم فى عمل الاعمدة التى تتحلى بها الآن مبانيهم واثار شوكتهم ومن تامل بعين البحث والنقد يرى ان عامود السواري مائل ميلا خفيفا الى الجهة الجنوبية

الغريبة ويقال ان ذلك ناشىء عن تغير كتل الاحجار التي يستوى عليها السفل وليس من هبوط الارض تحته كما يتبادر للذهن وهذه الاحجار مختلفه الاشكال متباينة الحجم غير موضوعة على حسب ما يقتضيه النظام الهندسى فان منها ما كان اصله قطعا كبيرة من اعمدة قديمة وهذه القطع موضوعة وضعا افقيا ماعدا قطعة منها موضوعة وضعا رأسيا ومنها قطعة كبيرة من المرمر مكتوب عليها باللغة الهيروغليفيه كتابة اندثر منها بعضها وبقى البعض الاخر واما اساس السفل فمشهور بزيادة تعمقه فى الارض ويكفى لمن اراد الوقوف على ذلك ان يزور يوماً القبوات الموجوده عند اسفل هذا الاثر ويوجد مدخلها الذى يماثل مدخل البئر فى الجهة الشمالية الشرقية من طرف المقبره الاسلاميه الحاليه وسبب تخرب السفل ناشىء من شغف الناس بالاطلاع على كيفية تشييد هذا العامود العظيم او من وساوس بعض العرب الذين كانوا يزعمون ان لا وجود للكنوز الا تحت المبانى القديمة ولكن قهرا عن هذه الامور المخلة طبعا ببقاء هذا العامود فهو لا يزال قائما على المحل الذى اسس فيه منذ الازمنة الاولى

ولما كانت سنة ١١٧١ ميلاديه امر احد حكام الاسكندرية بهدم جملة اعمدة لتكون بمثابة حاجز يمنع هجوم الامواج على المرفاء ودنو اساطيل الاعداء من الشاطيء الا انه لم يتجراء على مس عمود السوارى بشى من هذا الاجحاف لانه كان كثير النفع جزيل الفائده وكفى به ذلك ان يكون دليلاً للقوافل والسفن التى تقصد الاسكندرية من اقاصى بلاد الغرب فضلاً عن ان وجوده زينـة للمكان الذي تقيم فيه الاهالي اعيادهم العرفيه

وفى ايام حكم الاتراك اي من ابتداء القرن السادس عشر اجريت ترميمات عديدة فى السفل وقد اعاد الفرنساو بون نفس هذه الترميمات بانشاء قاعدة مربعة منتظمه حوله

ويرى على القاعدة نقش بالاحرف اليونانية مغزاه ان احد ولاة مصر شيد هذا العامود تذكارا للامبراطور دقلطيانوس وتشعبت اقوال المؤلفين فى هذا الوالى بسبب الخلل الحاصل فى النقش او الالتباس الواقع فى هذا الاسم بالاخص فالبعض منهم يذهب الى انه بوبليوس او بومبيوس او بومبونيوس والبعض الاخر خلاف ذلك وعلى اي حال فان الرواية التى نسبت تكريس هذا العمود من بومبيوس الوالى هى المخيرة عن غيرها لكثير من الوجوه منها انها اقرب الى اثبات المشهور من الاراء الآن فى هذا الشان واليك صوره المكتوب على القاعدة باللغة اليونانية كما هو

ΤΟ... ΩΤΑΤΟΝ ΑΥΤΟΚΡΑΤΟΡΑ
ΤΟ ΠΟΛΙΟΥΧΟΝ ΑΛΕΞΑΝΔΡΕΤΑC
ΔΙΟΚ. Η. ΙΑΝΟΝ ΤΟΝ.... ΤΟΝ
ΠΟ.... ΕΠΑΡΧΟ ΑΙΓΥΠΤΟΥ

ومعناه هو « الى الامبراطور الواسع العقل حامى الاسكندريه دقلطيانوس الجليل . قد كرس هذا الاثر اليك بو.... والى مصر»

وذكر ابو الفدا فى تاريخه ان الذى شيد العمود هو الامبراطور سيوير وهذا القول يظهر انه من الحقيقة بمكان مكين لان شكل العمود ونظامه

يختصان بزمن أسبق من الزمن الذى كرس هو فيه للامبراطور دقلطيانوس وبناء عليه تتعين صحة ما ابداه ابو الفدا من ان هذا العمود كان من ايام الامبراطور سبتيم سيوير فى اواخر القرن الثانى من الميلاد وهو زمن كان الرومانيون فيه عارفين بدقائق علم الهندسة حتى انهم شيدوا بالاسكندرية المدينة اليونانية عامودًا من الشكل اليونانى ومن هنا يتحقق لنا ان العمود شيد باسم سيوير ثم انه تكبد التغيرات المختلفة التى لا بد منها لكل اثر من الاثار العظيمة وان الوالي بومبونيوس او بومبيوس كرسه بعد ذلك اختلاسًا الى دقلطيانوس

والظاهر ان الوالى المتقدم الذكر كرس هذا العمود لدقلطيانوس تزلفا اليه وهربا من ظلمه فيستنتج من ذلك ان هذا التكريس كان من قبل الوالي فقط وليس من قبل اهالي الاسكندريه الذين لايتسنى لهم طبعا ان يهدوا اثرًا مثل هذا العامود الى من عاملهم بالقسوة والعنف وخرب بوزيريس وكيبوتوس ليحبط بذلك مشروعات احد وجهاء المدينة المدعو أشيله لقيامه بين أبنا وطنه وحثه لهم على الثورة والمناداة بالاستقلال ولا يخفي على الناقد البصير ان مثل هذه الاثار لا تهدى الا لمن كان من الملوك حسن السيره عادلاً رؤوفًا برعاياه

اما دقلطيانوس فالافعال التى اتى بها هى غير ذلك حيث انه انتقم بصرامة من اولى التظاهر وغير ادارات المدن والبلدان تغييرًا مجحفًا بحقوقهم وامتد ظلمه الذي صار اسما من اسمائه حتى اصاب الاقباط

ولا شك انه بعد ايراد هذه البراهين الشافيه لا يتردد احد فى ان نسبة تشييد هذا العمود لدقلطيانوس هو من قبيل اختلاس الحقوق ومما ستعلمه الآن

من سلوك الامبراطور سبتيم سيويز مع اهالي الاسكندرية لا يبقى ادنى ريب في ان هذا العمود انشيء فى ايامه وشيد باسمه مترجما لما في قلوب الرعية من الشكر له والثناء عليه لما اجراه من الافعال المشكوره والمآثر المبرورة يؤيد ذلك ماقاله المؤرخ اسبارتيان من انه لما دخل (اى سبتيم سيوير) فى الاسكندرية عامل اهلها بالاحسان والرفق وكلمهم بعبارات تشف عن رضاه عنهم وارتياح خاطره منهم حتى انه منحهم الامر بتأسيس مجلس الشيوخ فانصاعوا خاضعين لهذا المجلس راضين باحكام قضاته الرومانيين ولم يكن لهؤلاء القضاة مجلس شوروى وطني تقليدا لما كانت عليه البطالسة من قبل ولو فرضنا ان العمود شيد باسم دقلطيانوس لذكر ذلك فى النقش المتقدم فان هذا الاخير قاصر على اسمي الامبراطور روواليه ولم يذكر فيه السبب الداعي الى تشييده فحينئذٍ يجب الحكم بانه صار تغيير القاعدة الاصلية بالكلية واستبدلت بالقاعدة الموجودة الآن ويؤيد هذا الظن ارتفاع القاعدة الحالية زيادة عما تقتضيه قوانين الهندسة فضلاً عن ان لونها مباين للون العمود وليست ناعمة مصقولة مثله ومما يثبت بأنه نسب الى دقلطيانوس ظلماً واختلاساً هو ان الامبراطور المذكور كان قد حاصر الاسكندرية فى سنة ٢٩١ اما وجود الامبراطور سبتيم سوير بالمشرق فكان من سنة ٢٠٠ وقال المستر واسن ان من ضمن ما وجدته الانكليز من الاثار المختلفة بمدينة الاسكندريه فى سنة ١٨٠١ ميلادية حجر منقوش عليه ما تعريبه «واعلم اي انسان تملك هذا العمود انه شيد شرفاً وتذكارا للامبراطور سبتيم سيوير من عساكر الفرقة الحاديه عشر»

واما العمود فهو مصنوع من الجرانيت الوردي الجيد الصقل ما عدا الجهة المعرضة منه للصحراء فانها خشنة بسبب تاثير الرمال عليها ويرى على سطح

التاج محيط دائرة عرضه سبعة سنتيمترات وقطره متران ذهب البعض الى انه كان معداً لتثبيت قاعدة تحمل تمثالاً من الرخام

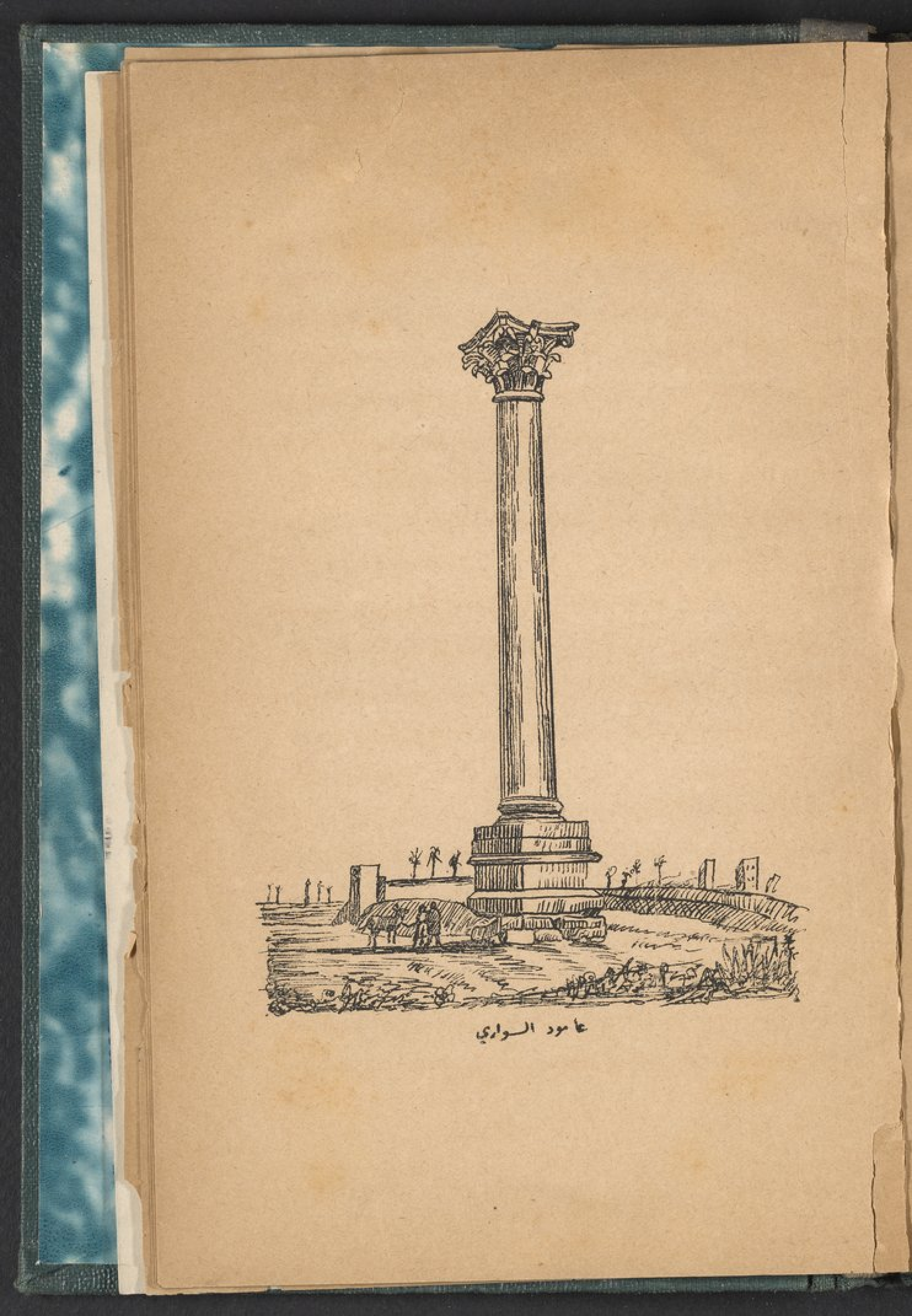
وزعم البعض ان هذا التمثال كان من النحاس وكان متجهاً نحو البحر يشير باصبعه الى مدينة القسطنطينية وزاد هذا القائل أن احد حكام الاسكندرية امر بنزعه من محله وضربه عملة وقال العالم يوسف نجم الدين المندوب الذى كان عائشا فى القرن الثامن من الميلاد انه كان يوجد تمثال من الحجر باعلا العمود القائم في وسط الجهة التى يظهر انها كانت فيما سبق حوش هيكل وثنى هدمته النصارى وبنت مكانه قلعة ونذكر هنا برهانا اخر يؤيد ان العمود اقيم فى ايام الامبراطور سيوير وهو انه لما كان يصعب النطق فى لغة العرب بلفظة سيوير على صورتها الاصلية حرفتها العرب على توالى الزمن فصارت سواري وظنوا كما يتبادر للذهن ان هذه اللفظة الاخيرة هى جمع ساري

واذ قد وصلنا لهذا الحد من وصف عمود السوارى فنحن نسرد هنا اقوال من مر على الاسكندرية من مشاهير العلما وجوابى الآفاق تتميماً للفائده فنقول قال عبداللطيف البغدادي : « عمود السوارى احمر منقط من الحجر المانع الصوان عظيم الغلظ جداً شاهق الطول لا يبعد ان يكون طوله سبعين ذراعاً وقطره خمسة اذرع وتحته قاعدة عظيمه تناسبه وعلى رأسه قاعدة اخرى عظيمه وارتفاعها عليه يهندم تفتقر الى قوة فى العلم برفع الاثقال وتمهر فى الهندسة العملية وخبرنى بعض الثقاة انه قاس دوره فكان خمسة وسبعين شبراً بالشبر التام ثم انى رأيت بشاطىء البحر مما يلي سور المدينة اكثر من اربعمائة عمود مكسرة انصافاً واثلاثاً حجرها من جنس عمود السوارى على الثلث منه او الربع وزعم اهل الاسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول

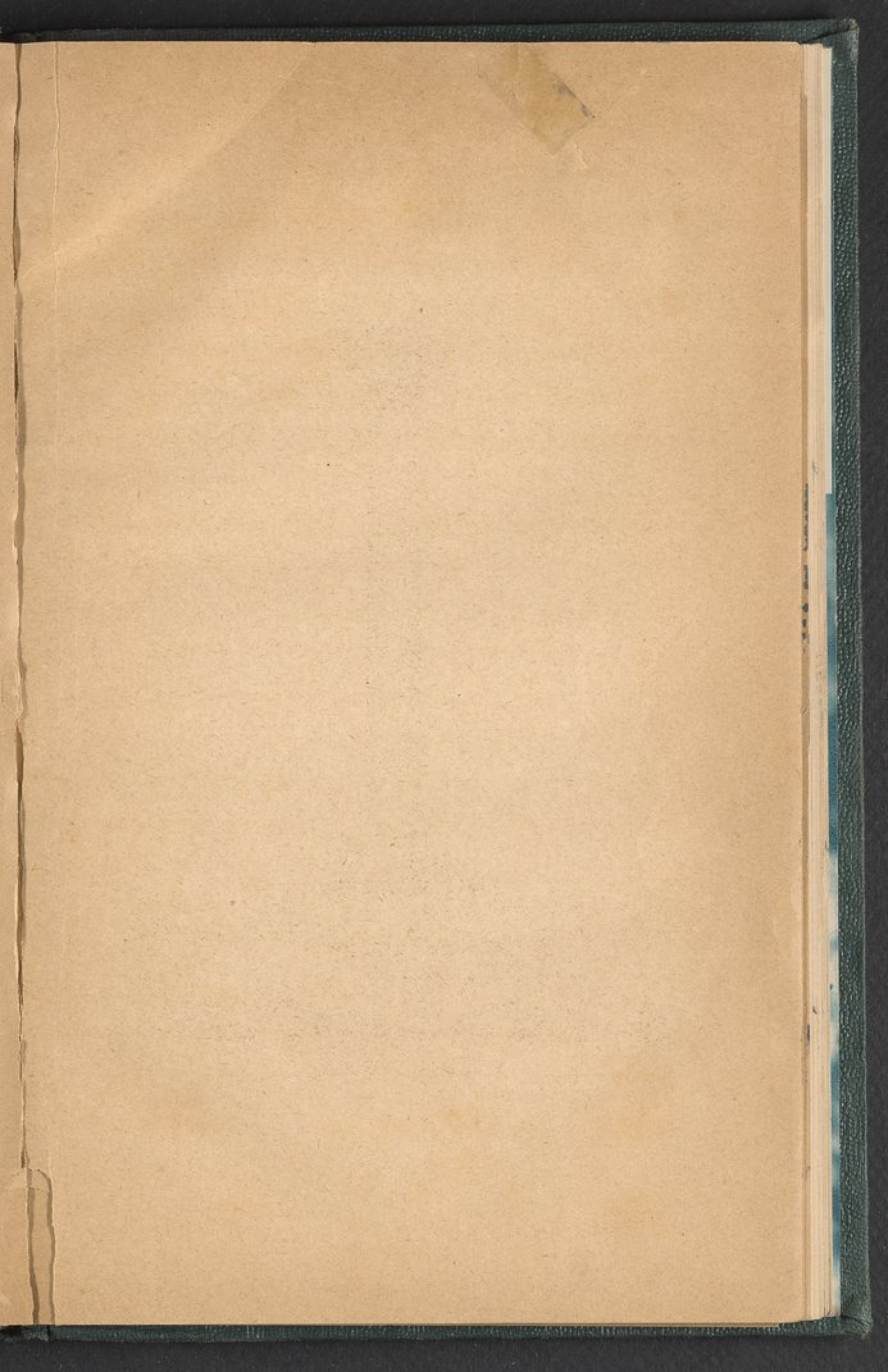
عمود السواري وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان واليا عن يوسف بن أيوب فرأى هدم هذه الاعمده وتكسيرها والقاءها بشاطئ البحر زعم ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة او يمنع مراكب العدو ان تسند اليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة ورأيت ايضا حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف»

وقال ياقوت « واقد دخلت الاسكندريه وطوفتها فلم ار فيها ما يعجب منه الا عمودًا واحدًا يعرف الآن بعمود السواري تجاه باب من ابوابها يعرف بباب الشجرة فانه عظيم جدًا هائل كانه المنارة العظيمة وهو قطعة واحده مدور منتصب على حجر عظيم كالبيت المربع قطعة واحدة ايضًا وعلى راس العمود حجر آخر مثل الذى فى اسفله فهذا يعجز اهل زماننا عن معالجة مثله فى قطعه من مقطعه وجلبه من موضعه ثم نصبه على ذلك الحجر ورفع الاخر الى اعلاه ولو اجتمع عليه اهل الاسكندرية جميعهم فهو يدل على شدة حامليه وحكمة ناصبيه وعظمة همة الآمر به»

وقال بن بطوطة فى رحلته « ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذى بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غابة نخل وقد امتاز عن شجراتها سموا وارتفاعا وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد اقيم على قواعد حجارة مربعة امثال الدكاكين العظيمة قال ابن جزي اخبرنى بعض اشياخي الرحالين ان احد الرماة بالاسكندريه صعد الى اعلى ذلك العمود ومعه قوسه وكنانته واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجمع الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفي على الناس وجه احتياله واظنه كان خائفًا او طالب حاجة



عامود السواري



فانتج له فعله الوصول الى قصده لغرابة ما اتى به وكيفية احتياله في صعوده انه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطا طويلاً وعقد بطرف الخيط حبلاً وثيقاً فتجاوزت النشابة اعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للرامى فصار الخيط معترضاً على اعلى العمود فجذبه حتى توسط الحبل اعلى العمود مكان الخيط فأوثقه من احدى الجهتين فى الارض وتعلق صاعداً من الجهة الاخرى واستقر بأعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه »

وفى الخطط الجديده ما يأتي « ووصفه العالم الرومانى افتونوس السائح في بلاد مصر واسكندريه فى القرن الرابع من الميلاد بقوله متى دخل المرء قامة اسكندريه وجد مكاناً محدوداً بحدود اربعة متساوية وفى وسطه فضاء متسع محاط باعمدة وبعدة دهاليز فيها قيعان بعضها لحفظ الكتب المجعولة لمن يريد المطالعة فى العلوم والحكم وبعضها معد لعبادة المقدسين وفى وسط هذا الفضاء عمود عظيم الارتفاع وهو علم يستدل به علي هذا المكان لأنه تغير عن حالته الاصلية فيتحير الانسان ولا يدرى اين يتوجه اذا اراد هذا المحل الا بهذا العمود فهو دليل لمن اراد هذا المكان من اهل البر والبحر »

﴿ سوما وقبر الاسكندر ﴾

قال استرابون « ان المحل المسمى سوما اى الجسد هو جزء من السرايات الملوكيه وهو عبارة عن سورمتين يحيط بقبور الملوك وبقبر الاسكندر وقد اخذ بطليموس بن لاغوس جثته من برديكاس وقت ان كان مارا بها في طريق مصر على عربة عظيمة يجرها اربعة وستون بغلاً في تابوت من الذهب

وقبرها فى المحل الذي هى فيه الآن غير ان التابوت المتقدم اخذ فيما بعد وعوض بتابوت آخر من الزجاج والذي فعل ذلك هو بطليوس كوكسيس الملقب بباريز كتوس » فيعلم من ذلك ومما قاله بعض المؤرخين ان موضع سوما هو فى اسفل التل المشيد فوقه حصن كوم الدماس

والتلال الموجودة بتلك الجهة تحتوى على جملة قبور خاصة بازمان متفاوته وموضوعة فوق بعضها طبقات وهي توجد فى داخل سور المدينة الحالي المشهر بسور العرب وهو عين السور القديم البيزنطى الذي رممه العرب فى ازمان مختلفة ويوجد عند سفح كوم الدماس من الجهة الشرقيه تحت السراديب الاولى القبور العربيه المختصة بالمدة الكائنة بين القرنين الثامن والحادي عشر من الميلاد ويوجد تحت هذه القبور قبور النصارى ثم قبور الوثنيين

وقد بنى مسجد النبى دانيال فوق جميع هذه السراديب وجميع منحدر التل المحصور بين الجامع المذكور وبين الشارع الحالى المسمى بشارع باب شرقى اعنى شارع كانوب القديم مملو بقبور وسراديب تختص بما قبل المدة البيزنطيه ومدد الامبرطره والبطالسه يؤيد ذلك ما وجد فيها من التماثيل التي من ضمنها كان تمثال هرقول مصنوعاً بالمرمر وقد عثر عليه عند حفر اساس بعض البيوت وهرقول (الذى كانت تعتقد فيه القدماء انه نصف اله) كان ممثلاً فى هذه الصورة عارى الجسد وعلى ركبتيه جلد اسد وذراعه الايمن الذي كان ممدوداً للامام فهو مكسور واظنه كان حاملا لتفاح جبال الهسبريد امايده اليسرى فمستندة على عصا ضخمة وانشاء هذا التمثال هو من احسن ما وصلت اليه فنون اليونان فى ذلك الوقت

ـــــــ

وتأريخ وجود هذه الاثار هو من ايام البطالسة ويحدو بنا الى الحكم بان السوما كان موجوداً فى كوم الديماس وذلك لان موضع هذا المكان مطابق بالضبط لما رواه اغلب قدماء المؤرخين فقد قال احدهم « ان السوما كان بوسط البلدة تقريباً وهو يطل على شارع عظيم محفوف من جانبيه بالاعمدة الكبيره يتقابل مع الشارع الطويل المنمى بشارع كانوب (باب شرقى) وينتهى الى المينا الكبرى بقرب القيصر يوم »

ولدينا برهان آخر يؤيد مدعاتنا المتقدمه وهو ان لفظة سوما او سوماس اليونانيه تشبه فى النطق تقريباً لفظة ديماس العربيه التى اغلب حروفها مثل اغلب حروف الاخرى وكانت لفظة سوماس تطلق على هذا المحل نفسه الى ان دخلت العرب مدينة سكندريه فتحرفت هذه الكلمة بكثرة التداول وصارت ديماس

﴿ البانيوم والجمناز والا يبودروم الخ ﴾

البانيوم كان عبارة عن تل مرتفع في وسط الاسكندرية وكان يمكن للانسان ان يري من اعلاه جميع احياء المدينة وضواحيها الى مسافات بعيدة جداً وكان يصل الانسان الى اعلاه بواسطة مدرج حلزونى الشكل وكان البانيوم المذكور الذي معناه « المنظر الشامل » او « المنظر الجميل » محل اجتماع المتفسحين الذين كانوا يأتون اليه افواجا افواجا طلباً للنزهة والراحة والتمتع بالنظر الى جميع ما بالاسكندرية وضواحيها من المبانى وغيرها وهو فى ايامنا هذه عبارة عن كوم الدكه

قال استرابون « ان الجمناز اى محل تربيض الجسم بالالعاب كان

موجوداً فى الشارع الكبير المسمى بشارع كانوب » ولم يتعين للآن موقعه بالضبط والدقة غير ان عمليات الحفر التى اجريت اخيراً بالجهة الشمالية الشرقية من البانيوم اى قرية كوم الدكه الحاليه ادت الى اكتشاف اسوار ضخمة وعدد عظيم من الاعمدة وتوجد هذه البقايا على مسافة طولها ١٥٠ متراً باتجاه خط عمودى على الاستحكامات العربيه ولا بد ان تكون هذه البقايا متعلقة بالجمناز ومحكمته التى كانت تسمى الديكاستريوم وبساتينه وكانت مساحتها عبارة عن مربع من الارض طول احد اضلاعه اكثر من استاده اى ١٢٥ خطوه

واذا خرج الانسان من سور العرب بقرب الجهة التى بها برج الرومانيين (او بالاحرى اذا اخترق سكة حديد الرمل) وصار على ساحل البحر يجد في كل خطوة يخطوها آثار مبان قديمة كالحمامات والعقد الجسيمة المصنوعة من الطوب الاحمر والاسمنت وجدران افريز مبنى بالاحجار الجسيمة وغير ذلك من البقايا التى أودت بها ايدى الرجال والتهمتها افواه الامواج

واذا استمر الانسان على السير متبعاً ساحل البحر يجد على يمينه بقايا قصر عظيم مشهور بقصر القياصره ويجد على بعد ٨٠٠ من تلك الجهة بقايا هيكل روماني صغير على ساحل البحر وعلى بعد ٤٠٠٠ متر من باب شرقى بقرب التلول المجاورة لقصر القياصرة محل المقتلة الهائلة التى حصلت بين الفرنساوين وجيوش الانكليز والاتراك فى ٣٠ فنتوز سنة ٩ من الجمهورية الموافق ٢١ مارس سنة ١٨٠١ ميلاديه

واذا زار الانسان يوماً عمود السوارى يرى فى الجهة الجنوبية من هذا الاثر المنيف مكاناً واسعاً مستطيل الشكل عميقاً محاطاً ببقايا ابنية كانت

مخفية تحت الارض وهذا المكان الذي طوله ٥٥٥ متر وعرضه ٥١ مترا ونصف كان معداً للسباق وكانت تسميه القدماء بالايبودروم ويرى لحد الآن فى وسطه اثار بناء عرضه ثمانية امتار وله سقف طويل جداً بالنسبة لعرضه وكانت تركض حوله اللاعبون وفي النهاية الغربية من هذا البناء ثقب متصل بقناة تحت الارض وهذه القناة متصلة ببحيرة مربوط لاستجلاب مياه هذه البحيرة اليه فيستنفع بها موظفوه فى الامور التى لها مساس بالنظافة وغير ذلك

وكان الجزء المخصص من هذا المكان للعب مبلطاً فلذا يظهر لنا من ذلك انه لا يصح ان يكون هو الايبودروم اذ ان من العادة ان يكون الايبودروم مخصصاً فقط لسباق الخيول ولا يصح طبعاً ان تسابق الجياد فى ميدان مبلط بحجر النحت ومما يؤيد مدعانا بان المحل المذكور لم يكن مخصصاً لسباق الخيول هو عدم استكشاف مكان يظهر منه ان الخيول كانت تنزل منه الى الميدان فضلاً عن ان الطريق المعد للركض فيه ليس متسعاً بحيث يسع الخيول او العربات لتتسابق فيه فمن هنا ينتج ان هذا المكان هو الذى كان يسميه القدماء بالاستادة الاولمبيه وهو من الموسسات اليونانية لانه لا يخفى ان الاستادات كانت منتشرة فى انحاء بلاد اليونان وكانت مخصصة للجرى بالاقدام ولالعاب اخرى تناسب ذلك

اما ايبودروم الاسكندريه فكان موضوعاً فى نهاية شارع كانوب والذى نقل الينا ذلك هو استرابون وفي الواقع فانه يوجد فى الجهة التي دل عليها هذا العالم مسطح من الارض واسع يعلم من هيئته انه كان مخصصاً لبناء من هذا النوع وقد وجد هناك مهندسو التجريدة الفرنساوية كتلا كبيرة من الاحجار وآثار

اسوار سميكة باستواء سطح الارض

واذ كانت الاثار القديمة آخذة فى الاختفاء والاندثار علي توالى الايام ومر الدهور والاعوام فقد اختفت اثار بلدتنا ايفاء بشروط هذا القانون ! ! تراكمت عليها الرمال واما اتخذت بصفة مواد لبناء البيوت الجديدة واما مختفية تحت مبانى المدينة الحاليه ولم يبق ظاهرًا للعيان من هذه الاثار المنيفه الا عمود دقلطيانوش وذلك بسبب ارتفاعه فاحترمه الزمن ووقرته الناس فلم يمسس بسوء وفى الامل انه سيبقي كذلك زمنا طويلاً اللهم ان لم تنتشله ايدى الطمع وحب الاثره لتتزين احدى ساحات مدينة من مدن امريقا او اوروبا

﴾ الكهوف (الكتاكومب) ﴿

يوجد على الصخور الحجريه الواطية المعرضة لصدمات امواج المينا القديمة من قرون مضت عدد عظيم من الكهوف المخفية التى كانت من ضمن نكروبوليس (مدينة اموات) اسكندريه القديمه وجميع هذه الكهوف تتصل بالبحر وبها قاعات حمامات مختلفة الاتساع وقاعات اخرى معروفة عند العامة بحمامات كيلوبتره ولم تكن فى القدم الا بمثابه نوامات لوضع الاموات فيها وفى نفس هذه الجهة يوجد اثر منيف قيل بانه قبر لاحد الملوك ولا يمكن الانسان ان يدخل فيه اليوم الا بصعوبة زائده لامتلائه برمال البحر والردم واذا تأمل الانسان يجد ان اعوجاج الساحل يكون على بعد ستين مترًا تقريبًا من حمامات كيلوبتره جونا صغيرًا عرضه ستة وعشرون مترًا وعمقه ضعف هذا العدد ومدخله مغلوق بصخرتين عظيمتين بينها فضاء

ضيق يسمح للقوارب الصغيره (الفلايك) فقط المرور منها وفى آخر هذا الجون يرى المتفرج مدخل الاثر المتقدم الذكر اشبه شيء بثقب ضيق فى وسط منحدر الساحل واذا دخل الانسان من هذا الثقب يجد نفسه في قاعة يمكنه ان يقف فيها بدون ادنى عارض يمنعه عن ذلك ثم يري يمنة ويسرة قاعات صغيرة مربعة تستوى سقوفها على اعمدة مربعة الشكل وبعد ذلك يدخل فى قاعة اكبر من المتقدمة لا يمكن معرفة ارتفاعها بسبب تراكم الرمال فيها ويوجد على جانبين من جوانبها قاعتان صغيرتان احداهما تتصل بواسطة فتحة فى الحائط الى دهليز متسع طوله اثنى عشر مترًا يوصل الى قاعة جميلة مستطيلة الشكل وعلى جوانبها اربعة ابواب جميلة ثلاثة منها محمولة علي اعمدة مربعة حاملة لقناطر مثلثة الشكل مزينة بنقوش تعلوها صورة الهلال وعلى اليسار من ذلك بناء مستدير مجوف قطره سبعة امتار ويوجد حوله تسعة اضرحة وهذه القاعه ليست ملآنة بالرمال كباقى القاعات المجاوره لها بحيث لا شيء فيها يمنع الانسان من التأمل فى جميع اجزائها التى يكون لها المنظر البديع والشكل الانيق اذا اتت الاشعة الضوئية وانعكست على الطلاء البلورى الشامل لجميع الجدران

واذا رجع الانسان الى القاعة التى بعد البناء المستدير المجوف المتقدم الذكر يترك على يساره دهليزًا هو فى الحقيقة تتمة الدهليز السالف ويدخل من باب كبير فى قاعة مربعة طول احد اضلاعها ٢٠ر١٦ وسقفها الافقي محمول على اثنى عشر عمودًا كبيرًا ولا يزال النقش باقيا على ما كان عليه من الطلاوة والبهجة وبكل من الاضلاع الموازية للمحور ثلاثة ابواب اما ابواب الزوايا فهى اصغر بكثير من السابقة والنقوش التى تعلوها مرسومة باللون الاحمر ويظهر

من ذلك ان بناء هذا الاثر كان لم يتم ومن الغريب ان كل زاوية من زوايا هذه القاعة متجهة الى جهة من الجهات الاربعة الاصليه الشمال والجنوب والشرق والغرب واذا دخل الانسان من الابواب الموجودة بالوسط يرى قاعتين بجدران كل منهما ثلاثة طبقات من التحات يظهر انهما كانت معدة لحفظ الاجساد المحنطة ولو سار الانسان على المحور الاكبر لهذا البناء لا يمكنه التقدم الى الامام لداعى تراكم الردم الذي صار بمنزلة عائق يمنع المتفرج من الوصول لهذا الغرض

و يظهر للانسان بعد التأمل الدقيق والفحص ان القاعة ذات الاثنى عشرة عموداً السالفة الذكر يجب ان تكون فى وسط هذا البناء الذى كان مدخله من جهة البحر و يتحقق للانسان ان وجود اثر من اهمية الذي نحن بصدده فى وسط قرية نكروبوليس القديمة لابد ان يكون لغرض مهم هو ان يكون جدثا لشخص من الاشخاص ذوى القوة والجاه كالملوك ومقبرة لمن يموت من اقارب به فيدفن حوله و بجانب القبور المذكورة قاعات لاقامة الشعائر الدينية فيها وعلى العموم فان شكل هذه المبانى يحملنا على الجزم بانها قبور البطالسة التى اسرع اهل الاسكندرية باظهارها الى اوكتاف بعد ان بينوا له موضع قبر الاسكندر و ربما كانت هذه القبور ايضاً هى التى التجأت اليها كيلوبتره فاتى بروكوليوس احد قواد جيش اوكتاف واخذها منها وذلك بعد انهزام الامبراطور انطوان وموته

واذا مر المتفرج على باقي الكهوف الموجوده بتلك النواحى يرى آثار ترعة كانت توصل فى الزمن السابق مياه بحيرة مريوط بالبحر المالح وما يلى ذلك من الساحل فهو قفر بلقع لا يوجد فيه سوى محاجر يظهر ان اهالي الاسكندرية

لاقدمين كانوا يستخرجون منها ما يلزم لهم من مواد البناء لتشييد منازلهم وتحصين معاقلهم وعلى بعدعشرة الاف متر من حمامات كيلوبتره توجد الجهة التى كانت تسمى سرزويز وهي المعروفة في ايامنا هذه بجهة مرابوط وكانت عبارة عن قلعة صغيرة مشيدة على طرف الصخور التى تغلق الموردة من الجهة الجنوبية الغربية وهى التي فى ضواحيها نزلت العساكر الفرنساوية الى البر فى ١٣ مسيدور من السنة السادسة من الجمهوريه اى (اول اول يوليه سنة ١٧٩٨

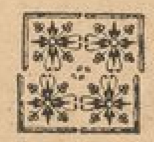
الصهاريج

من الآثار القديمة التى تذكرنا ما كانت عليه الاسكندرية فى ايام عزها من الشوكة والاقتدار الصهاريج العديده التى كانت معدة لادخار المياه اللازمة لشرب سكانها كل سنة فان المياه كانت تصل الى هذه الصهاريج بواسطة خلجان صغيرة تحت الارض متصلة بترعة كانوب وقال المؤرخ هريتوس « وفى كل منزل من منازل الخاصة بئر تنصرف اليه مياه الترعة بواسطة الخلجان فتستقر فيه ثم تصفو وتروق شيئاً فشيئاً وليس بالاسكندرية ينابيع طبيعيه فلذا كان فقراوها يقصدون الترعة نفسها للحصول على الماء وبما ان هذا الماء كان عادة غير نقي بل ممزوجاً بالطين كانت الامراض تنتشر فيما بينهم وتفتك فيهم فتكاً ذريعاً »

وقال المرحوم محمود باشا ان ما عثر عليه من الصهاريج فى مدينة اسكندريه يبلغ ٧٠٠ بعضها مركب من طبقتين والطبقة العليا محمولة على اعمدة من الرخام او الزلط وفي المواضع المرتفعه من المدينة كانت تبلغ

طبقات الصهاريج اربعة ولم تكن جميعها تملاء من الخلجان بل كان يملاء اكثرها بالقرب وفى الخطط المصريه لصاحب العطوفة ناظر المعارف العموميه ما يأتى « وفى كتاب جركى الفرنساوي ان جليس بيك عند اجرائه عمليات الاستحكامات كشف عن ٨٩٦ صهريجاً مبنية جميعها بالحجر واصلة بعضها وتأخذ ماءها من خليج كبير يشق البلد ويمتد الى بحيرة مربوط وكانت تنظف كل سنة حتى لا يضر ماءها بالصحة »

وقد وجد من هذه الصهاريج فى ايام ساكن الجنان محمد على باشا اكثر من ٣٠٠ صهريجاً صالحا للاستعمال و٧٣ ساقية يصل ماء الترعة اليها بواسطة اربعة مجارى وكان احد هذه المجارى يصب فى المينا القديمة اى مينا اونوستوس فيأخذ الملاحون منه ما يلزمهم من الماء ولما امر المغفور له محمد على باشا بحفر ترعة المحموديه بطل استعمال السواقى والصهاريج وكان ذلك من ضمن اعماله المشكوره التى لا يمحيها كر الدهور ومر الاعوام والسلام



بيان الخطا والصواب

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣	١٨	عاما	عما
٣٠	١٢	تم	ثم
٣٣	٢	ارسطاطابس	ارسطاطاليس
٢٩	٢	عن منهم	منهم عن
٤٠	٩	المستعراب	المتسنعرات
٤٢	١٢	لاهمية	الاهمية
٤٧	١٠	وكانت	وكان
٧٦	٩	ذراغ	ذراع
٨٨	١٨	هوا	هو
٨٩	١٠	وهذ	وهذا
٩٩	٣	الثبوب	الثبوت

﴿ تمدن العرب ﴾

على اكثر من ٨٠٠ صحيفة وسنباشر طبعه بمجرد وصول التصريح الذي طلبناه من المؤلف بذلك

الف نهار ونهار

الفه احد الاعجام الدراويش من مدة مديده ثم ترجمه الى الفرنساوية قنصل فرنسا ببلاد العجم اذ ذاك وكان بينه وبين المؤلف روابط ودية وثيقة وقد طبع من الجزء الاول منه شيء يسير على الحجر من منذ سنة تقريباً ثم وقف الملتزم عن الطبع لعوائق منعته عن ذلك

الفلك المشحون باصطلاحات العلوم والفنون

يحتوي على اكثر من عشرة الاف كلمه عربية وفرنساوية في الاصطلاحات العلمية من طب وهندسة وحساب وتجارة وقضاء وجغرافية الى غيرها من الاصطلاحات المختصة بالالعاب المختلفة والحرب وهو ضروري لمن يعاني فن الترجمة

المسك العاطر في مسك الدفاتر

عجائب الدنيا السبع

تمدن الهند

تأليف مؤلف تمدن العرب وهو تحت الترجمة

